مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثالث عشر - السنة السابعة. المحرم ١٤٤٤هـ/أغسطس ٢٠٢٢م

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

موضوعات العدد:

- مجالات تدبر القرآن الكريم عند الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- من خلال كتابه "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" دراسة تطبيقية تحليلية
  د. بهاء الدين عادل عرفات دنديس
- دلالات الآيات الكونية من خلال تفسير ابن عاشور "التحرير والتنوير" سور المفصل نموذجًا
  أ. عبد الناصر سلامة
- أسلوب التهييج والإلهاب في القرآن الكريم
  د. عبد الرحمن بن سند الرجيلي
- الإنسان من العدم إلى دار الجزاء تأملات في سورة الإنسان
  أ. أحمد بن محمد الشويعي
  دراسة موضوعية
- الملة في القرآن الكريم، دراسة في المفهوم والأنواع
  أ. محمد أكرت بن عبد القادر
- تقرير رسالة علمية بعنوان:
- استشهاد الصحابة رضي الله عنهم -بالآيات القرآنية من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الأنعام- جمعًا ودراسة
  د. سليمان محمد كمارا
- تقرير عن معهد الإمام الشاطبي للقرآن وعلومه

مجلة تدبر
عفت

دِلَالَاتُ الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ مِنْ خِلَالِ تَفْسِيرِ ابْنِ عَاشُور "التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ"

"سُوَرُ الْمُفَصَّلِ نَمُوذَجًا"

(The connotations of the Quranic cosmic verses through Ibn Ashour›s interpretation of Liberation and Enlightenment: Surat al-Mofassal as a model)

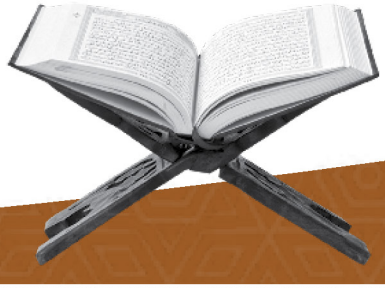

أ. عَبْدُ النَّاصِرِ سَلَامَة
Mr. SALAMA ABDENNASSER

باحث في الدراسات القرآنية
مدرس لمادة التربية الإسلامية بالسلك الثانوي الإعدادي
Researcher in Quranic studies

قدم للنشر في: ٢٤-٨-١٤٤٣هـ، الموافق ٢٧-٣-٢٠٢٢
قبل للنشر في: ٢٦-٩-١٤٤٣هـ، الموافق: ٢٧-٤-٢٠٢٢
نشر في: المحرم ١٤٤٤هـ، الموافق: أغسطس ٢٠٢٢م
مدة التحكيم مع قبول النشر: (٣٢ يومًا).
متوسط مدة التحكيم والنشر في المجلة: (٦٣ يومًا).

- من مواليد: زايو - المملكة المغربية.
- حاصل على شهادة البكالوريا في العلوم التجريبية سنة: ٢٠٠٦م.
- حاصل على الإجازة في الدراسات الإسلامية سنة: ٢٠١٠م، بالكلية متعددة التخصصات بالناظور، التابعة لجامعة محمد الأول بوجدة.
- حاصل على شهادة الماجستير في الدراسات القرآنية بالغرب الإسلامي: قضايا ومناهج، بالكلية السالفة الذكر، سنة: ٢٠٢١م.

بعض النتاج العلمي:

- مشارك بعدة مقالات، جُلُّها قرآنية، في عدد من المجلات الإسلامية الشهريَّة، مثل: مجلة الوعي الإسلامي الكويتية، وذلك في الأعداد التالية: (٦٤٩- ٦٥٦- ٦٦٢-٦٧٦-٦٨١-٦٨٥-٦٨٦). وكذا مجلة الأزهر الصادرة عن مجمع البحوث الإسلامية بمصر، (العدد: ذو القعدة ١٤٣٩هـ - يوليو ٢٠١٨م الجزء ١١ السنة ٩١)، وأيضًا مجلة البعث الإسلامي الصادرة عن ندوة العلماء بالهند، (العدد الثاني – المجلد السابع والستون - شعبان ١٤٤٢هـ- أبريل ٢٠٢١م / العدد الرابع - المجلد السابع والستون).

البريد الشبكي: Email: abdennasser4sabah@gmail.com

مجلة تدبر

المُستَخلَص

تناول هذا البحث موضوع: (دلالات الآيات الكونية من خلال تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير: سور المفصل نموذجا). وذلك من خلال بيان ما ارتبط بهذه الآيات القرآنية ذات الإشارات الكونية من الدلالات والمعاني العقدية والأخلاقية والفقهية وغيرها.

وهدفَ هذا البحث بمنهجٍ استقرائيٍّ واستنباطيٍّ إلىٰ لفت الأنظار إلىٰ هذا الجانب المهم من الآيات الكونية؛ في ظل سيطرة بحوث الإعجاز العلمي علىٰ هذا النوع من الآيات. وقد خَلُص البحث إلىٰ تنوع دلالات الآيات الكونية وما ارتبط بها من المعاني، مع غلبةٍ للدلالات العقدية، وفي مقدمتها الدلالات المُبَيِّنة لعظمة الله تعالىٰ ووحدانيته، وكذا المُبَيِّنة لوقوع البعث، ثم المُبَيِّنة لمنَّة الله علىٰ خلقه.

كما خلص البحث إلىٰ تنوع الآيات الكونية الموظَّفة في الدلالة علىٰ تلك المعاني، مع دقة القرآن في استعمالها وتوظيفها بحيث تفيد تلك المعاني المرادةِ إفادةً قويةً ومناسِبةً تدل علىٰ إعجازه البياني.

كما كشف البحث عن دور الآيات الكونية في إبراز عظمة القرآن الكريم من عدة أوجهٍ، ككونه منزلًا من عند الله تعالىٰ، وكونه كريمًا مجيدًا طاهرًا، وكونه بلغ الغاية في التأثير والإرشاد، وغير ذلك من الوجوه.

وخلص البحث أيضًا إلىٰ بيان رزانة ابن عاشور في تفسير الآيات الكونية، وحرصه علىٰ إبراز المقصد العقدي الموجود فيها باعتباره أهم المقاصد الأصلية

للقرآن الكريم، موظِّفًا في ذلك فنون البلاغة وعلم المناسبة اللذين تبيَّن ما لهما من أهميةٍ في الكشف عن أسرار القرآن ودرره الكامنة وراء ظاهر التركيب والألفاظ.

كما بيَّن البحث ثراء سور المفصل بالآيات الكونية وما تحمله من دلالاتٍ ومعانٍ قيمةٍ.

الكلمات المفتاحية: الآيات الكونية – الدلالات العقدية – تفسير ابن عاشور – سور المفصل – عظمة القرآن.

(The connotations of the Quranic cosmic verses through Ibn Ashour's interpretation of Liberation and Enlightenment: Surat al-Mofassal as a model)

Researcher
Salama abdennasser
Researcher in Quranic studies

Abstract:

This research deals with the topic: (The connotations of the Quranic cosmic verses through Ibn Ashour's interpretation of Liberation and Enlightenment: Surat al-Mofassal as a model). This is done by clarifying the connotations and meanings associated with these verses in doctrinal, ethical, jurisprudence and others.

It uses both the inductive and deductive approaches with the intention to draw readers' attention to the important aspect of these Quranic cosmic verses, in a time of the dominance of scientific miracle research on this type of verses. This research reveals the diversity of the connotations of the "cosmic verses" and the associated meanings, with the predominance of the doctrinal connotations, especially the connotations illustrating the greatness and oneness of Allah the Almighty, as well as showing the existence of the resurrection (al-ba'ath), and the grace of Allah upon His creation.

The research also reveals the diversity of the 'cosmic verses' employed in denoting these meanings, with the accuracy of the Quran in its use and employment so that those intended meanings could provide a strong and appropriate statement indicating its rhetorical miracle.

It points out to the role of the 'cosmic verses' in highlighting the greatness of the Holy Quran from several aspects, such as its being and evidence of its divine source (being revealed by God Almighty), pure, exactitude perfect, and reaching the goal in influence and guidance, etc.

It proclaims that Ibn Ashour's was sedate in interpreting these verses. He was keen to highlight their doctrinal intents, as this is the most important original purpose of the Holy Qur'an. He employed the arts of rhetoric and the science of occasion, as they are important tools in revealing the secrets of the Quran and its secrets and values that are implicitly behind the apparent structure and expressions.

The research demonstrates how Surat al-Mufassil is rich with cosmic verses and their valuable connotations and meanings .

Keywords: cosmic verses - doctrinal connotations - interpretation (tafsir) of Ibn Ashour - Surat al-Mufassil - greatness of the Quran.

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ليكون للناس هدًىٰ وذكرًىٰ، واختار له من معاني مخلوقاته ما يُبين فضله ويكشف قدره فسمَّاه روحًا ونورًا، وأودع فيه من الحكم والأسرار، ما تقوم عليه مصالح الأنام في هذه الدار وتلك الدار، ثم دلَّ علىٰ كثيرٍ منها بما شاء من مخلوقاته، لتكون أقوىٰ في الدلالة والاعتبار. وصلىٰ الله علىٰ النبيِّ المختار، وعلىٰ آله وصحبه الأطهار، ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فقد عدَّد الله تعالىٰ في كتابه العزيز من ذكر مخلوقاته، ووَزَّع ذكرها بين سوره وآياته، فشغلت هذه الآيات الكونية التي بلغت نحوًا من ألفي آيةٍ(١)، اهتمام ثُلَّةٍ من الباحثين والدارسين، خاصةً منهم أولئك المهتمين بموضوع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، إذ يهدفون من وراء ذلك إلىٰ إثبات صدق معجزة القرآن، وأنه كلام الله تعالىٰ وليس بكلام رسوله أو أحدٍ من خلقه؛ وطريقتهم في ذلك إظهار المطابقة بين مضامين بعض الآيات القرآنية ذات الإشارات الكونية وما اكتشفه العلم الحديث في شأنها مما لم يكن إلىٰ معرفته سبيلٌ في عصر التنزيل، إلا أن يكون ذلك من طريق الوحي.

بَيْد أن هذا الجانب في تناول هذا النوع من الآيات ودراستها ليس هو الجانب الوحيد، ولا ينبغي له أن يكون كذلك؛ إذ إن لهذه الآيات الكونية التي ساقها الله في

(١) الدلالات العقدية للآيات الكونية، لعبد المجيد بن محمد الوعلان، (ص: ١٩).

كتابه العزيز أغراضًا وجوانب أخرىٰ جديرةٍ بالتأمل والدراسة، لا تقل في دلالتها علىٰ إعجاز القرآن الكريم من دلالة الإعجاز العلمي عليه، بل هي من هذا الجانب الذي نقصده أدلُّ لكونه جزءًا من الإعجاز البياني الذي هو أساس الإعجاز القرآني.

وأذكر هنا -توضيحًا لما سبق- قوله تعالىٰ علىٰ لسان يوسف لأبيه عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف:٤]، فقد تضمنت هذه الآية الكريمة تنويهًا بالأبوين بدلالة الشمس والقمر؛ إذ من المعلوم أن تأويل الشمس والقمر في رؤيا يوسف عائدٌ إلىٰ أبويه، والكواكب إشارةٌ إلىٰ إخوته، ولاشك أنَّ كل واحدٍ يَعلَم ما للشمس والقمر من فضلٍ علىٰ سائر الكواكب، وأنهما أعظم النيِّرات في السماء، وقد أقسم الله بهما في كتابه، وخصهما بالذكر في عددٍ من آياته، فكان هذا الترميز بهما للوالدين متضمنًا غاية التنويه بحقهما ورفعة مقامهما، وهو ما فتئ القرآن يؤكده في مواضع كثيرةٍ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]. فنحن ننظر هنا كيف كانت هذه الآية الكونية في «سورة يوسف» محتويةً علىٰ معنىً جليلٍ جديرٍ بالتأمل لا علاقة له بالإعجاز العلمي.

كما اتفق لي أيضًا أن صادفت مرَّةً مقطعًا تلفزيونيًّا مسجَّلًا للشيخ الشعراوي -رحمة الله عليه- (ت ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) وقد سأله محاوره عن مسألة المساواة بين الرجل والمرأة، فكان جوابه: أن الله خلق الذكر والأنثىٰ ليتكاملا لا ليتساويا، فهما متكاملان في نظام هذا الكون كتكامل الليل والنهار، ولذلك جاء ذكرهما بعد ذكر هاتين الآيتين الكونيتين في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ

ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل:١-٤]، ومن ههنا كانت كل دعوةٍ للمساواة بين الجنسين إنما هي في الحقيقة محاولةٌ للخروج عن نظام هذا الكون وشذوذٌ عنه. وهكذا نجد الشيخ الشعراوي رحمه الله يلفت الأنظار إلىٰ موقف القرآن من هذه القضية الاجتماعية، وكيف أن القرآن صورها تصويرًا بليغًا يستقر في الأذهان، من خلال الاستناد علىٰ آيتين كونيتين تعتبران غايةً في التكامل والاتزان.

ومن هذا المنطلق الذي ذكرت جاء هذا البحث ليجلّي بعض المعاني التي ارتبطت بالآيات الكونية في القرآن الكريم، دون الخوض في دلالاتها العلمية والإعجازية.

أولاً: أهمية البحث:

تتجلىٰ أهمية هذا البحث في كونه محاولةً لتسليط الضوء علىٰ جانبٍ يكاد يكون مغفولًا في تناول الآيات القرآنية ذات الإشارات الكونية؛ وذلك في ظل غلبة أبحاث ودراسات التفسير العلمي أو الإعجاز العلمي علىٰ هذا النوع من الآيات.

فبالرغم من أن الإعجاز العلمي له إضافته التي لا تُنكر في إثبات معجزة القرآن الآن؛ إذ يعد وسيلةً ناجعةً في مخاطبة المولعين بالعلوم الحديثة ومحاججتهم بها في هذا الميدان، خاصةً من سلك منهم سبيل التشكيك والنكران، إلا أنه -في المقابل أيضًا- قد تؤدي المبالغة فيه إلىٰ حصر زاوية النظر في الآيات الكونية في هذا الجانب فقط؛ مما يُفوِّت علىٰ الباحثين وغيرهم الاهتمام والنظر فيما أودعه الله في هذه الآيات من معانٍ وأسرارٍ، وحكمٍ وأحكامٍ تتعلق بإصلاح عقائدهم وأعمالهم، في الوقت الذي يعد هذا الأمر هو المقصد الأساس من تنزيل آيات القرآن الكريم. ومن هنا كان هذا الموضوع جديرًا عندي بالدراسة والبحث.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

يمكنني القول إن أسباب اختيار هذا الموضوع ترجع إلىٰ ما يلي:

- الرغبة في الكشف عن الدلالات والمعاني التي اقترنت بالآيات الكونية، دون تلك المتعلقة بالإعجاز العلمي.

- قلة الأبحاث والدراسات -علىٰ حد علمي- التي تناولت هذا الموضوع، إذ جُلُّ الدراسات في هذا الباب تُعنىٰ ببحث جانب الإعجاز العلمي في هذه الآيات الكونية.

- الوقوف علىٰ مدىٰ عناية المفسرين بالآيات الكونية، وتَعرُّف منهجهم في ذلك. وقد اخترت لذلك تفسيرًا معاصرًا أبحث من خلاله هذا الموضوع، وهو تفسير «التحرير والتنوير» للعلامة التونسي الطاهر بن عاشور -رحمة الله عليه- (ت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م).

ثالثًا: أسباب اختيار تفسير ابن عاشور: التحرير والتنوير:

اخترت هذا التفسير الجليل كأساسٍ للبحث في هذا الموضوع نظرًا للأسباب التالية:

١- اهتمام الطاهر ابن عاشور ﷺ بعلم المناسبة بين الآيات، كما صرح بذلك في مقدمة تفسيره[(١)]، وهذا العلم ذو صلةٍ وثيقةٍ بموضوع بحثي؛ إذ من خلاله تنجلي تلك المعاني المودعة في الإشارات الكونية الوارد ذكرها في القرآن، علىٰ غرار ما تقدم مع الشيخ الشعراوي -رحمة الله عليه-، حيث استند إلىٰ علم المناسبة في استنباط تلك الدلالة المشار إليها.

(١) التحرير والتنوير (١/ ٨).

٢- اهتمام ابن عاشور بالجانب اللغوي والبلاغي في تفسيره عنايةً فائقةً، وهو ما من شأنه أيضًا الكشف عن دقائق المعاني ولطائفها الكامنة وراء ظواهر الآيات القرآنية.

٣- أسلوب ابن عاشور في تفسير الآيات؛ حيث لا يكتفي بذكر المعنىٰ الإجمالي للآيات، بل يتناول مفردات الآية بالشرح، ثم يتناول تركيب الجُمَل بالتحليل والتمثيل أحيانًا بما يُجلِّي المعنىٰ ويُبِين عن المقصود من الآية بيانًا شافيًا.

٤- اهتمام ابن عاشور بالإعجاز العلمي في تفسيره، كما بيَّنَ ذلك في المقدمة العاشرة[(١)]، وهو ما يعني اهتمامه بتفسير الآيات الكونية التي هي موضوع بحثنا.

◆ رابعًا: أسباب اختيار سور المفصل:

كما اخترت أن يكون البحث مقتصرًا علىٰ سور المفصل من القرآن الكريم، وهي من سورة الحجرات إلىٰ آخر المصحف[(٢)]، وذلك للأسباب التالية:

١- تعذر تناول جميع سور القرآن بالدراسة في ظل محدودية عدد الصفحات المخصصة لكل بحثٍ في المجلة، فكان من المناسب -إذن- الاقتصار علىٰ سور المفصل.

---

(١) ينظر كلامه عن الإعجاز العلمي في هذه المقدمة من التحرير والتنوير (١/ ١٢٧-١٢٩).

(٢) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢١٤). وأنبه هنا إلىٰ أني رأيت اعتماد هذا القول في تحديد سور المفصل واخترته علىٰ غيره من الأقوال لأنه قول الجمهور، ورجحه ابن حجر من الشافعية في شرحه علىٰ البخاري حيث قال: «والمراد بالمفصل السور التي كثرت فصولها، وهي من الحجرات إلىٰ آخر القرآن علىٰ الصحيح». فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (٩/ ٨٤). والظاهر أن هذا القول هو اختيار ابن عاشور أيضًا.

٢- اشتمال سور المفصل علىٰ كثيرٍ من السور المكية التي تعتبر مظانًّا للآيات الكونية.

٣- فضل سور المفصل؛ حيث جاء فيها قول النبي ﷺ: «**أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَمَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ**»(١). كما جاء فيها قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَابًا، وَإِنَّ لُبَابَ الْقُرْآنِ الْمُفَصَّلُ». قال أبو محمدٍ الدَّارِميُّ -راوي الأثر-: «اللُّبَابُ: الْخَالِصُ»(٢).

وبناءً علىٰ ما تقدَّم، فقد اخترت لهذا البحث، عنوانًا -أراه مناسبًا له- وهو: «دلالات الآيات الكونية من خلال تفسير ابن عاشور «التحرير والتنوير»: سور المفصل نموذجًا».

◆ خامسًا: إشكالية البحث:

تتجلىٰ إشكالية البحث في وجود حاجةٍ علميةٍ ماسَّةٍ لتوسيع النظر والبحث في دلالات الآيات الكونية، والخروج بها عن نطاق التفسير العلمي الذي يكاد يستأثر بهذا النوع من الآيات، وذلك من خلال الوقوف علىٰ جهود المفسرين في تفسيرها وما استنبطوه منها من الدلالات والمعاني، خاصةً أولئك الذين اهتموا بالجانب البلاغي كالإمام ابن عاشور.

ولنا - من خلال ما تقدم - أن نطرح التساؤلات التالية:

---

(١) مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث واثلة بن الأسقع الليثي، برقم (١٦٩٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، برقم (١٠٥٩).

(٢) سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة، برقم (٣٤٢٠). وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٨٨).

- هل تشتمل الآيات الكونية علىٰ دلالاتٍ ومعانٍ غير تلك المرتبطة بالإعجاز العلمي؟

- هل اعتنىٰ ابن عاشور بتفسير هذه الآيات الكونية تفسيرًا يكشف عن تلك الدلالات؟ وما هو المنهج الذي سلكه في ذلك؟ وهل كان لاهتمامه في تفسيره بعلوم البلاغة أثرٌ في ذلك؟

- هل اشتمل تفسير ابن عاشور علىٰ نماذج تُعيننا علىٰ تدبُّر هذا النوع من الآيات؟

سادسًا: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلىٰ ما يلي:

- لفت الانتباه إلىٰ جوانب أخرىٰ تتعلق بالآيات الكونية، أراها جديرةً بالدراسة أيضًا، وذلك في ظل سيطرة بحوث الإعجاز العلمي علىٰ هذه الآيات.

- الكشف عن بعض المعاني والأسرار القرآنية التي اقترنت بذكر الآيات الكونية.

- إبراز دور ابن عاشور في تفسير الآيات الكونية، وتلمس منهجه في ذلك.

- الحَضُّ علىٰ تدبُّر القرآن الكريم وتلمُّس كيفيته من خلال الوقوف علىٰ نماذج لابن عاشور في ذلك، ولغيره من المفسرين أيضًا من خلال تفسيرهم للآيات الكونية.

سابعًا: حدود البحث:

يمكن القول إن حدود هذا البحث تتجلىٰ في دراسة دلالات الآيات القرآنية المتعلقة بالآيات الكونية من خلال تفسير ابن عاشور «التحرير والتنوير»: سور المفصل أنموذجًا.

◆ ثامنًا: الدراسات السابقة في الموضوع:

هناك عدة دراساتٍ تم إنجازها حول الآيات الكونية، وقد ارتبط بعضها بتفسير ابن عاشور أيضًا، غير أن معظمها يندرج ضمن الإعجاز العلمي، ومن أمثلة ذلك:

١- تفسير الآيات الكونية عند ابن عاشور في التحرير والتنوير، رسالة دكتوراه، إعداد أحمد إبراهيم عبد الله عبابنه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، الأردن، ٢٠١١م.

وقد تناول الباحث في هذه الرسالة موضوع التفسير العلمي من خلال تفسير ابن عاشور «التحرير والتنوير»، وطريقته في ذلك أنه يذكر القضية الكونية الوارد ذكرها في القرآن، مثل قضية السماوات السبع، وكيفية خلقها، وأيُّها خُلق أولًا: هي أم الأرض؟ ونحو ذلك من القضايا الكونية، ثم يتناولها بالدراسة عبر مراحل أربعٍ، وهي كالتالي:

- **كلام ابن عاشور**: حيث يذكر في هذه المرحلة تفسير ابن عاشور للقضية الكونية المتحدث عنها متتبعًا مواضع ذكره لها في تفسيره إن كان لها أكثر من موضعٍ.

- **التحليل**: ويذكر فيه خلاصةً تضم أهم ما قاله وأثاره ابن عاشور في تفسير تلك القضية الكونية، ويرتب خلاصته غالبًا علىٰ شكل نقاطٍ.

- **كلام المعاصرين**: ويذكر في هذه المرحلة ما جاء به العلم الحديث في القضية الكونية موضوع الدراسة، ويأتي فيها بنقول أهل الاختصاص في هذا الشأن، وكثيرًا ما يعتمد علىٰ كلام الدكتور زغلول النجار -وهو أحد المناقشين لبحثه-، ثم يقارن بين كلامهم وكلام ابن عاشور ليرىٰ صواب ما قاله ابن عاشور.

- **تعقيبٌ**: وبه يختم دراسته للقضية الكونية، حيث يذكر في هذه المرحلة رأيه في تفسير ابن عاشور العلمي بناءً علىٰ ما ذكره أهل الاختصاص.

هذا، وقد يضيف الباحث في أحيانٍ كثيرةٍ مرحلةً خامسةً بين المرحلتين الأخيرتين، تحت عنوان: **شواهدُ أخرىٰ**، حيث يذكر في هذه المرحلة ما يؤيد به معنًىٰ علىٰ آخر.

وعلىٰ العموم فهذا البحث وإن بدا بينه وبين بحثي تقاربٌ في العنوان إلا أنهما يختلفان من جهة المضمون؛ وذلك أن موضوع هذا البحث - كما صرَّح به صاحبه في المقدمة- هو النظر في التفسير العلمي للآيات الكونية لدىٰ ابن عاشور والوقوف علىٰ مدىٰ جودته من خلال مقارنته بما قاله أهل الاختصاص في هذا الشأن، ومناقشته بناءً علىٰ ذلك. فموضوع هذا البحث منحصرٌ -إذن- في هذا الجانب من تفسير الآيات الكونية ولا يتعداه لغيره. بينما يهدف بحثي -كما أشرت سابقًا- إلىٰ الكشف عن الدلالات والمعاني العقدية والأخلاقية وغيرها مما تعلق بذكر الآيات الكونية في القرآن الكريم، دون الخوض في مضامين هذه الآيات من الناحية العلمية كما فعل صاحب هذا البحث.

٢- موقف الطاهر ابن عاشور من الإعجاز العلمي من خلال تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير، إعداد: وفاء عبد الرحيم عطا عبد الرحيم، جامعة سوهاج، كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية، جمهورية مصر، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م.

وهذا البحث كما يظهر من عنوانه اقتصرت فيه الباحثة علىٰ موضوع الإعجاز العلمي أيضًا من خلال تفسير ابن عاشور للآيات الكونية، وهو ما ترجمته في الباب

الثاني والأخير من بحثها بعنوان: «الإعجاز العلمي في الآيات الكونية عند الطاهر بن عاشور»، حيث تحدثت في هذا الباب المكون من أربعة فصولٍ عن الإعجاز العلمي المرتبط بخلق السماء والأرض والشمس والقمر، وكذا المرتبط بخلق الكائنات الحية مثل الإنسان والحيوان والنبات، ثم المرتبط بخلق البحار والأنهار والجبال وغير ذلك. وهو بهذا الطرح قريب الموضوع جدًّا من البحث الأول.

٣- الآيات الكونية: دراسةٌ عقديةٌ، وطُبع أيضًا بعنوان: الدلالات العقدية للآيات الكونية، وهي رسالة ماجستير من إعداد: عبد المجيد بن محمد الوعلان، جامعة الإمام بن محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الدراسات العليا، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ.

وهذا البحث كما هو ظاهرٌ من عنوانه يتتبع دلالات الآيات الكونية علىٰ مسائل الاعتقاد المختلفة كدلالته علىٰ التوحيد، والبعث، وإثبات الرسالة، وأشراط الساعة، والمخالفات الاعتقادية التي ارتبطت بالآيات الكونية ونحو ذلك من المسائل، وهو يختلف بهذا عن البحثين السابقين وإن تطرَّق إلىٰ موضوع التفسير العلمي في الفصل الثالث منه، ولكن من جهة التنظير فحسب، حيث ذكر تعريفه، والفرق بينه وبين الإعجاز العلمي، وموقف العلماء منه، وبعض المخالفات الاعتقادية التي قد يجرُّ إليها هذا اللون من التفسير في نظر الباحث، كما ذكر مسائل أخرىٰ ذات صلةٍ بالموضوع دون التطرق إلىٰ ذكر أمثلةٍ تطبيقيةٍ للتفسير العلمي أو الإعجاز العلمي.

وهذا البحث علىٰ العموم هو أقرب البحوث المذكورة إلىٰ موضوع بحثي، غير أنه يخالفه في أشياء، منها:

- أنه عامٌّ اشتمل علىٰ الإشارات الكونية في القرآن كله، بالإضافة إلىٰ السنة النبوية، وموضوع بحثي مقتصرٌ علىٰ المفصل من سور القرآن.

- أنه لم يتقيد في دراسته بكتاب «التحرير والتنوير»، وموضوع بحثي إلىٰ جانب قصده الكشف عن بعض الدلالات والمعاني التي ارتبطت بالآيات الكونية فهو يهدف أيضًا إلىٰ إظهار مزايا هذا التفسير.

- أنه اقتصر في مجمله علىٰ الدلالات العقدية التي ارتبطت بالآيات الكونية، وموضوع بحثي لا يتقيد بذلك، بل يشير إلىٰ الدلالات العقدية وغيرها مما دلت عليه تلك الآيات من المعاني.

تاسعًا: منهج البحث:

قام هذا البحث علىٰ منهجين أساسين، وهما:

- المنهج الاستقرائي حيث قمت بتتبع الآيات الكونية الوارد ذكرها في سور المفصل، ثم تجميعها وتتبعها بعد ذلك في تفسير «التحرير والتنوير».

- المنهج التحليلي والاستنباطي حيث حرصت علىٰ تدبُّر كلام ابن عاشور في تفسير الآيات الكونية المدروسة، ومحاولة التوصل من خلال ذلك إلىٰ الدلالات والمعاني التي ارتبطت بها، ثم تصنيفها بعد ذلك في البحث تصنيفًا مناسبًا.

هذا، وربما أضفت مقارنةً لكلام ابن عاشور بغيره من المفسرين فيما يتعلق ببعض تلك الآيات المدروسة.

عاشرًا: خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمةٍ وتمهيدٍ وثلاثة مباحث وخاتمةٍ، وذلك على النحو التالي:

- المقدمة وتتضمن ما يلي: أهمية البحث - سبب اختيار الموضوع - سبب اختيار تفسير ابن عاشور «التحرير والتنوير» - سبب اختيار سور المفصل نموذجًا - إشكالية البحث - أهداف البحث - الدراسات السابقة في الموضوع - منهج البحث - خطة البحث.

- المبحث الأول: الدلالات العقدية في الآيات الكونية، وفيه أربعة مطالب.

- المبحث الثاني: الدلالات الأخلاقية والتشريعية وغيرها في الآيات الكونية، وفيه ثلاثة مطالب.

- المبحث الثالث: دلالة الآيات الكونية على عظمة القرآن الكريم، وفيه أربعة مطالب.

- الخاتمة، وفيها ذكر أهم النتائج والتوصيات المتوصل إليها.

- الفهارس، وتضم ما يلي: فهرس المصادر والمراجع - فهرس الموضوعات.

هذا، وأسأل الله ﷻ أن يرزقنا التوفيق والقبول في هذا العمل، وأن يلهمنا الإخلاص والسداد فيما نذر ونفعل، وأن يغفر لنا ما صدر عنَّا من تقصيرٍ أو زَلَلٍ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الميامين الغُرَر.

تمهيد:

بما أن بحثي هذا يتناول أساسًا موضوع «الآيات الكونية»، وهو مصطلحٌ شائعُ الاستعمال لدىٰ الباحثين في علوم القرآن، فإنني أجد نفسي ملزمًا بالإبانة عن مفهوم هذا المصطلح، متَّبعًا في ذلك الخطوات التالية:

١- تعريف الآيات:

الآيات جمع آيةٍ، مثل (آيٌ وآياتٌ) أيضًا، ولها في اللغة معنيان أساسان، وهما: العلامة، والجماعة، يقال: خرج القوم بآيَتِهِمْ، أي: بجماعتهم[(١)]. ومن هنا قيل: سميت آية القرآن آيةً لأنها علامةٌ علىٰ تمام الكلام، وقيل: بل لأنها جماعاتٌ من كلمات القرآن[(٢)].

كما أن للآية في الاستعمال القرآني معاني أخرىٰ غير العلامة، وذلك مثل: العبرة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف:٧]، أي: عِبرٌ. ومثل: المعجزة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة:٢١١] أي: من معجزةٍ واضحةٍ، وغير ذلك من المعاني التي أضافها القرآن لهذا اللفظ[(٣)].

أما اصطلاحًا، فتُعرَّف الآية القرآنية بأنها: جزءٌ من السورة لها مبدأٌ ونهايةٌ[(٤)].

---

(١) انظر: مختار الصحاح، لزين الدين الرازي (١/ ٢٧)، مادة (أ ي ا).

(٢) مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار، للقاضي عياض (١/ ٥٦)، مادة (أ ي هـ).

(٣) المدخل لدراسة القرآن، لمحمد أبو شهبة، (ص: ٣٠٩).

(٤) المدخل لدراسة القرآن، لمحمد أبو شهبة، (ص: ٣٠٩).

٢- تعريف الكون:

يقول ابن فارس: «الكاف والواو والنون أصلٌ يدل علىٰ الإخبار عن حدوث شيءٍ، إما في زمانٍ ماضٍ أو زمانٍ راهنٍ. يقولون: كان الشيء يَكون كَوْنًا، إذا وقع وحضر»[(١)]. فالكَوْن: الحدَثُ، والكَائِنَة: الأمرُ الحادث. وكَوَّنَه فتكَوَّن: أحدَثَه فحَدَث. والله مُكَوِّن الأشياء يخرجها من العدم إلىٰ الوجود[(٢)]. فالكَوْن -إذن- لفظٌ يُعبَّر به عن الشيء الحادث والموجود.

أما اصطلاحًا: فيطلق مسمىٰ الكون اليوم علىٰ هذا الفضاء الواسع وما به من أجرامٍ، كالسماوات والأرض وما فيهن، وما بين ذلك من كل متحركٍ وساكنٍ مما علمه الإنسان وما جهله[(٣)].

ومما يفيد هذا المعنىٰ كذلك مصطلح «العَالَمَ»، إذ يطلق علىٰ كل ما سوىٰ الله تعالىٰ من الموجودات، بَيْد أن هذا الإطلاق أفاده استعمال علماء الكلام له في قولهم: العالم حادثٌ. وليس هو من تحقيق اللغة؛ إذ لا يوجد في كلام العرب إطلاق «عالم» علىٰ مجموع ما سوىٰ الله تعالىٰ؛ وإنما يطلق مضافًا لنوعٍ يُخصِّصه، فيقال: عالم الإنس، عالم الحيوان، عالم النبات، وهكذا[(٤)].

٣- مفهوم الآيات الكونية:

لا يخرج مفهوم «الآيات الكونية» عما سبق ذكره في تعريف الآيات والكون

---

(١) مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (٥/ ١٤٨)، مادة (ك و ن).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٣٦٤)، مادة (ك و ن).

(٣) الدلالات العقدية للآيات الكونية، لعبد المجيد بن محمد الوعلان، (ص: ٢٥).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ١٦٨).

باعتباره مصطلحًا مركبًا منهما، غير أنه تبيَّن لي من خلال استعمال الباحثين لهذا المصطلح أن لهم به قصدين:

الأول- بمعنىٰ الكائنات بحد ذاتها؛ وذلك باعتبارها آياتٍ علىٰ وجود الله وعظمته، أي علاماتٍ ودلائل علىٰ ذلك، كما هو المعنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت:٣٧]، قال القرطبي (ت ٦٧١هـ): «﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ﴾ علاماته الدالة علىٰ وحدانيته وقدرته»[(١)]. وفي هذا يقول الباحث عبد المجيد الوعلان معرِّفًا لنا الآيات الكونية بـ: «أنها المنسوبة إلىٰ الكون الذي هو الخلق الذي كَوَّنه الله تعالىٰ فكان، وذلك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات، فكل المخلوقات ذواتها، وصفاتها، وأحوالها من الآيات الكونية... والعلم الذي يُعنىٰ بدراسة الآيات الكونية الآن يسمىٰ: علم الكونيات»[(٢)]. وهذا كلامٌ ظاهرٌ يُبيِّن أن الباحث يقصد بالآيات الكونية الكائنات ذاتَها.

الثاني- بمعنىٰ الآيات القرآنية ذات الإشارات الكونية، أي بمعنىٰ «الآيات التي تشير إلىٰ الكون وما به من كائناتٍ (أحياء وجماداتٍ)، وإلىٰ صورٍ من نشأتها ومراحل تكونها، وإلىٰ العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها، والسنن الإلهية التي تحكمها»[(٣)]. وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ:٦-١٦]، وغيرها

(١) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي (١٨/ ٤٢٣).

(٢) الدلالات العقدية للآيات الكونية، لعبد المجيد بن محمد الوعلان، (ص: ٢٦-٢٧).

(٣) مدخل إلىٰ دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لزغلول النجار، (ص: ٧٧).

من الآيات الكثيرة ذات الإشارات الكونية.

ومن هؤلاء الباحثين الذين استعملوا المصطلح بهذا المعنىٰ الثاني الشيخ نور الدين عتر ﷺ (ت ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م) في كتابه: «علوم القرآن الكريم»[(١)]، وكذا الدكتورة الفاضلة هند شلبي -رحمة الله عليها- (ت ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م) في كتابها عن التفسير العلمي للقرآن الكريم، حيث تقول: «والمتأمل في طريقة فهم القدامىٰ للآيات الكونية يلاحظ فيها اتجاهين عكسيين:

١- منهم من حملها علىٰ ظاهرها اللغوي.

٢- ومنهم من تأوَّلها وأخذ الألفاظ بمعناها المجازي»[(٢)]. وكلامها ظاهرٌ في أنها تقصد بالآيات الكونية الآيات القرآنية التي تشير إلىٰ الكون، ولا تعني بذلك الكائنات ذاتَها.

وبهذا يتضح لنا أن لهذا المصطلح استعمالين، حيث نجده يرِدُ عند البعض مرادًا به المعنىٰ الأول، كما نجده يرِدُ عند البعض الآخر مرادًا به المعنىٰ الثاني. وقد يستعمله آخرون بالمعنىٰ الأول تارةً وبالمعنىٰ الثاني تارةً أخرىٰ، والذي يحدِّد لنا مقصود الباحث في كل ذلك هو السياق[(٣)].

وأما ما يُقصَد بذلك في هذا البحث فهو المعنىٰ الثاني الذي يُعنىٰ بالآيات القرآنية ذات الإشارات الكونية.

---

(١) علوم القرآن الكريم، لنور الدين عتر، (ص: ٢٣٩).

(٢) التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، لهند شلبي، (ص: ٦٧).

(٣) نجد -مثلًا- الشيخ محمد أبو شهبة ﷺ يستعمل هذا المصطلح بالمعنيين معًا في كتابه: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير»، حيث يورده في (ص: ٢٩٨) بالمعنىٰ الأول، بينما يورده في (ص: ٨١) بالمعنىٰ الثاني، والذي يحدد مراده في كل موضعٍ -كما قلنا- هو السياق.

المبحث الأول:

الدلالات العقدية في الآيات الكونية

يمثل إصلاح العقيدة وبناؤها بناءً صحيحًا موافقًا للفطرة التي فطر الناس عليها المقصدَ الأول من تنزيل القرآن الكريم، ويُصدِّق هذا المعنىٰ قول الجن حين سمعوا القرآن يُتلىٰ من فِيِّ الرسول ﷺ: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ [الجن:١-٢]، إذ بينوا من خلال كلامهم هذا أن المقصد من تنزيل القرآن هو الهداية إلىٰ الرشد، ثم بينوا أهم آثار ذلك الرشد وهو استقامة العقيدة وإصلاحها، وهو معنىٰ قولهم: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن: ٢]. وفي هذا الصدد يقول العلاَّمة ابن عاشور رحمه الله: «وكان إصلاح الاعتقاد أهم ما ابتدأ به الإسلام، وأكثر ما تعرض له؛ وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاحٍ؛ ولأنه لا يُرجىٰ صلاحٌ لقومٍ تلطَّخت عقولهم بالعقائد الضالة، وخسئت نفوسهم بآثار تلك العقائد المثيرة: خوفًا من لا شيءٍ، وطمعًا في غير شيءٍ. وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي؛ لأن المرء إنسانٌ بروحه لا بجسمه.

ثم نشأ عن هذا الاعتقاد الإسلامي: عِزَّة النفس، وأصالة الرأي، وحرية العقل، ومساواة الناس فيما عدا الفضائل.

وقد أكثر الإسلام شرح العقائد إكثارًا لا يشبهه فيه دينٌ آخر، بل إنك تنظر إلىٰ كثيرٍ من الأديان الصحيحة، فلا ترىٰ فيها من شرح صفات الخالق إلا قليلًا»[1].

(١) التحرير والتنوير (٣/ ١٩٤).

ومن هنا لم يكن غريبًا أن نجد المعاني العقدية مبثوثةً في كتاب الله بثًّا لا يوازيه غيره من المعاني والدلالات الشرعية، وذلك متحقِّقٌ من أول سورة الفاتحة إلىٰ آخر سورة الناس، فلا تكاد تجد سورةً تخلو من ذلك أبدًا، وإن كانت السور المكية أوفرَ نصيبًا وأوضحَ دلالةً علىٰ تلك المعاني العقدية من السور المدنية.

وتمثل الآيات الكونية علىٰ وجه الخصوص مناسبةً لملاحظة هذه المعاني العقدية باعتبارها الغرض الأساس الذي من أجله جيء بذكرها في القرآن؛ فهي -كما يقول عبد المجيد الوعلان-: «لم تُذكر في القرآن الكريم لمجرد الذكر، أو من أجل بيانها للناس ودلالتهم عليها ابتداءً، وإنما هي سيقت مساقًا تابعًا للغرض والهدف الذي ذكرت في ثناياه، من الاستدلال بها علىٰ قضايا كبرىٰ: كالألوهية والنبوات والبعث»(١).

ويمكن لنا أن نقف علىٰ بعض هذه المعاني العقدية من خلال مجموعةٍ من الآيات الكونية التي ورد ذكرها في سور المفصل في ضوء ما ذكره العلامة ابن عاشور في تفسيرها، مبتدئين في ذلك بأهم المعاني العقدية، ثم الذي يليه ثم الذي يليه وفق المطالب التالية.

(١) الدلالات العقدية للآيات الكونية، لعبد المجيد بن محمد الوعلان، (ص: ٦٢) و (ص: ١٠٤).

المطلب الأول:

دلالة الآيات الكونية على وحدانية الله تعالى.

يعد إثبات وحدانية الله تعالىٰ، أهم ركنٍ في العقيدة الإسلامية، جاء القرآن الكريم ليقرره في النفوس ويرسخه في العقول، وقد نهج القرآن الكريم في تقريره مسالك عدَّةً، فمن ذلك أنه يذكر ما يدل علىٰ عظمة الله وقدرته في الخلق والتصرف؛ إذ بثبوت هذا الأمر تثبت الوحدانية لله تعالىٰ ويُنتفىٰ عنه الشريك. ومن ذلك أنه يذكر ما يدل علىٰ صفات الله ﷻ من حكمةٍ وعلمٍ ورحمةٍ ونحو ذلك من الصفات التي بتقرُّرها يتقرر أمر التوحيد أيضًا. ومن ذلك أيضًا أنه يذكر ما يدل علىٰ بطلان معتقدات المشركين في بعض الكائنات العظيمة التي كانوا يضاهون بها توحيد الله تعالىٰ. وقد وُظِّفت في هذا كُلِّه عددٌ من الآيات الكونية، ورَدَ عددٌ منها في سور المفصل، وبيان ذلك كالتالي:

◆ ١- ما جاء منها للدلالة على عظمة الله وقدرته:

من الأمثلة التي نجدها علىٰ هذا المعنىٰ في سور المفصل قوله تعالىٰ في سورة البروج: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البروج:١-٣]، قال ابن عاشور ﷺ في تفسير هذه الآية: «في افتتاح السورة بهذا القسم تشويقٌ إلىٰ ما يرِد بعده، وإشعارٌ بأهمية المقسم عليه، وهو مع ذلك يلفت ألباب السامعين إلىٰ الأمور المقسم بها، لأن بعضها من دلائل عظيم القدرة الإلهية المقتضية تفرد الله تعالىٰ بالإلهية وإبطال الشريك». وهو يقصد بذلك الآية الكونية: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾

كما هو ظاهرٌ من تمام كلامه هناك[1].

شاهدٌ آخر: ومن المواطن أيضًا التي نبَّه فيها ابن عاشور على دلالة الآيات الكونية على هذا المعنى العقدي ما ذكره في تفسير قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر:١-٤]، حيث قال في تعريف «الفجر»: «والفجر: اسمٌ لوقت ابتداء الضياء في أقصى المشرق من أوائل شعاع الشمس حين يتزحزح الإظلام عن أول خطٍّ يلوح للناظر من الخطوط الفَرَضية المعروفة في تخطيط الكرة الأرضية في الجغرافيا، ثم يمتد فيضيء الأفق ثم تظهر الشمس عند الشروق، وهو مظهرٌ عظيمٌ من مظاهر القدرة الإلهية وبديع الصنع»[2]. وهو ما يعني أن القَسَم به كان من أجل لفت أنظار السامعين إلى هذا المعنى.

شاهدٌ آخر: ومثل ذلك أيضًا ما ذكره في بيان أغراض «سورة الشمس»، وما اشتملت عليه من القَسَم بمخلوقاتٍ عظيمةٍ هي: الشمس والقمر والليل والنهار والضحى والسماء والأرض والنفس، حيث ذُكر «من أحوالها ما هو دليلٌ على بديع صنع الله تعالى الذي لا يشاركه فيه غيره، فهو دليلٌ على أنه المنفرد بالإلهية والذي لا يستحق غيره الإلهية، وخاصةً أحوال النفوس ومراتبها في مسالك الهدى والضلال والسعادة والشقاء»[3].

وبالجملة فقد تعددت الآيات الكونية الدالة على هذا المعنى، ولا يكاد يُفوِّت ابن عاشور منها شيئًا إلا نبَّه عليه في موضعه، وخاصةً في المواطن التي أقسم الله فيها

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٣٧).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣١٢).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٦٦).

بمخلوقاته؛ إذ تعد الدلالة على هذا المعنى العقدي المقصدَ الأساس من وراء ذلك.

◆ ٢- ما جاء منها دالًّا على بعض صفات الله ﷻ وأسمائه الحسنى:

تعددت أيضًا الآيات الكونية التي نبه الله من خلالها على بعض صفاته المجيدة وأسمائه الحسنى الدالة على ألوهيته ووحدانيته ﷻ، فمن ذلك ما جاء منها دالًّا على صفتي «العلم» و«الحكمة»، ومثاله في سور المفصل ما نجده في قوله تعالى في سورة ق: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق:٩]، حيث تضمنت هذه الآية الكونية الإشارة إلى هاتين الصفتين الجليلتين، وقد حرص ابن عاشور على إبراز تجلياتهما في الآية إذ يحتاج ذلك إلى حسن تفهُّمٍ وتدبُّرٍ لها، فقال ﵀: «وفي هذا استدلالٌ بتفصيل الإنبات الذي سبق إجماله في قوله: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق:٧]، لما فيه من سوق العقول إلى التأمل في دقيق الصنع لذلك الإنبات وأن حصوله بهذا السبب وعلى ذلك التطور أعظم دلالةً على حكمة الله وسعة علمه مما لو كان إنبات الأزواج بالطَّفرة، إذ تكون حينئذٍ أسباب تكوينها خفيةً فإذا كان خلْق السماوات وما فيها، ومدُّ الأرض وإلقاء الجبال فيها دلائل على عظيم القدرة الربانية لخفاء كيفيات تكوينها؛ فإن ظهور كيفيات التكوين في إنزال الماء وحصول الإنبات والإثمار دلالةٌ على عظيم علم الله تعالى»[(١)].

ومن الآيات الكونية أيضًا في سور المفصل التي تضمنت الإشارة إلى صفات الله ﷻ وحَرصَ ابن عاشور على استخلاص ذلك من خلالها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك:٢]، حيث توقف ﵀ مع هذين المخلوقين العظيمين اللذين هما أهم ما يعرض لجنس الانسان من العوارض، فبيَّن ما في ذكر الموت من صفة القهر

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٩٢).

الإلهي للإنسان وما في ذكر الحياة من صفة الإنعام عليه، وما فيهما معًا من صفة القدرة والتصرف فيه بالإنعام والإعدام، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «الموت تصرف في الموجود القادر الذي من شأنه أن يدفع عن نفسه ما يكرهه. والموت مكروهٌ لكل حيٍّ فكانت الإماتة مظهرًا عظيمًا من مظاهر القدرة؛ لأن فيها تجلي وصف القاهر.

فأما الإحياء فهو من مظاهر وصف القادر، ولكن مع وصفه المنعم.

فمعنىٰ القدرة في الإماتة أظهر وأقوىٰ لأن القهر ضربٌ من القدرة.

ومعنىٰ القدرة في الإحياء خفيٌّ بسبب أمرين: بدقة الصنع وذلك من آثار صفة العلم، وبنعمة كمال الجنس، وذلك من آثار صفة الإنعام. وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ في [سورة البقرة: ٢٨]»(١).

ومن الآيات الكونية أيضًا التي تضمنت الإشارة إلىٰ صفات الله تعالىٰ في سور المفصل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك:٣]، حيث نبه ابن عاشور في تفسير هذه الآية إلىٰ تضمنها صفة الرحمة؛ ولذلك أوثر فيها التعبير بوصف «الرحمان» بدل اسم الجلالة؛ إيماءً إلىٰ أن هذا الإتقان الذي وُضع عليه هذا النظام الكوني هو مما اقتضته رحمة الله تعالىٰ بالناس(٢).

كما تضمنت هذه الآيات الكونية الواردة في المفصل أيضًا الإشارة إلىٰ اسمٍ من أسماء الله الحسنىٰ، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحديد:٦]، حيث بيَّن ابن عاشور رحمه الله دلالة هذه الآية علىٰ اسم الله تعالىٰ «المدبِّر»،

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ١٨).

وذلك قصد إبطال ما كان يعتقده المشركون من أن للنهار والليل تدبيرًا وتصرفًا في حياتهم وموتهم، كما حكىٰ القرآن عنهم ذلك في قولهم: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، فكانت الآية بيانًا للمدبِّر الفعليِّ والحقيقيِّ لهذا الكون، وهو الله ﷻ[(١)].

وبهذا يتضح لنا أن الآيات الكونية تعد مجالًا رحبًا للتدبُّر في أسماء الله تعالىٰ وصفاته واستخلاص هذه المعاني العقدية الجليلة من خلالها، إذ من شأن ذلك أن يزيد الإيمان بالله رسوخًا في القلب وثبوتًا في الوجدان؛ لأنه كلما ازداد الإنسان معرفةً بهذه الأسماء والصفات ازداد معرفةً بالله تعالىٰ وإيمانًا به. وقد تلمَّس ابن عاشور هذا الطريق من خلال الآيات الكونية التي فسرها، كما اتضح ذلك من خلال هذه النماذج التي ذكرتها.

◆ ٣- ما جاء منها متضمنًا بطلان عقائد المشركين في بعض الكائنات:

تتضمن الآيات الكونية أيضًا إلىٰ جانب الغرضين السابقين التنبيه علىٰ بطلان عقائد المشركين في بعض المخلوقات العظيمة، حيث يأتي ذكرُ القرآن لها متضمنًا هذا المعنىٰ العقدي بالإضافة إلىٰ تضمنه تعظيمًا لله تعالىٰ وتعريفًا به. ومن شواهد هذا المعنىٰ في سور المفصل ما يلي:

أ- ما جاء منها متضمنًا بطلان ألوهية الليل والنهار:

فقد جاء في سورة الحديد -وقد تقدم هذا آنفًا- قوله تعالىٰ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحديد:٦]، حيث تضمنت هذه الآية -إلىٰ جانب دلالتها علىٰ اسم الله «المدبِّر»- إبطال عقيدة المشركين في الليل والنهار؛ إذ كانوا يعتقدون

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٦٧).

أن لهذين المخلوقين العظيمين تصرفًا في حياتهم ومماتهم، فأشارت الآية إلىٰ كونهما خاضعين لتدبير الله وتسييره، وليس الأمر كما يزعمون؛ ولذلك أسَند فعل الإيلاج في الآية إليه لا إليهما. وفي هذا يقول ابن عاشور ﵀ مبينًا مناسبة ذكر هذه الآية عقب قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الحديد:٥]: «وهو أيضًا مناسبٌ لمضمون جملة ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾؛ تذكيرًا للمشركين بأن المتصرف في سبب الفناء هو الله تعالىٰ، فإنهم يعتقدون أن الليل والنهار هما اللذان يفنيان الناس، قال الأعشىٰ:

ألـم تَـروا إرَمًـا وعَـادًا   أفـنَـاهُـمَـا الـلَّـيـلُ والـنَّـهـارُ

وحكىٰ الله عنهم قولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، فلما قال: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الحديد:٥]، أبطل بعده اعتقاد أهل الشرك أن للزمان الذي هو تعاقب الليل والنهار والمعبر عنه بالدهر تصرفًا فيهم»[(١)].

شاهدٌ آخر: وقريبٌ من هذا المعنىٰ أيضًا ما ذكره ﵀ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ:١٠]، حيث بيَّن هنالك بطلان اعتقاد الدَّهريين في الليل إذ كانوا يزعمون أنه رب الظلمة، مع الإشارة أيضًا إلىٰ بطلان معتقد المجوس في كون المخلوقات كلها مصنوعةً من أصلين، أي إلهين: وهما إله النور وهو صانع الخير، وإله الظلمة وهو صانع الشر[(٢)].

ب- ما جاء منها متضمنًا بطلان ألوهية النجم:

من شواهد هذا المعنىٰ أيضًا في سور المفصل ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٦٦-٣٦٧).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٠).

﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]، حيث نبه ابن عاشور رحمه الله إلىٰ تضمن هذه الآية بطلان عقيدة بعض المشركين في إلهية النجم؛ بدليل اقترانه بصفة الهُويِّ والأُفُول[1]، وهي من صفات النقص التي ينُزَّه عن مثلها الإله الحق، مع دلالة الآية في الوقت نفسه علىٰ عظم الصانع سبحانه وتعالى وكمال تصرفه وتدبيره، فقال رحمه الله: «وفي ذكر ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ احتراسٌ من أن يتوهم المشركون أن في القَسَم بالنجم إقرارًا لعبادة نجم الشِّعرىٰ، وأن القَسَم به اعترافٌ بأنه إلهٌ، إذ كان بعض قبائل العرب يعبدونها؛ فإن حالة الغروب المعبَّر عنها بالهوىٰ حالة انخفاضٍ ومغيبٍ في تخيل الرائي؛ لأنهم يعدون طلوع النجم أوْجًا لشرفه، ويعدون غروبه حضيضًا، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام:٧٦].

ومن مناسبات هذا يجيء قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ في هذه السورة [٤٩]، وتلك اعتباراتٌ لهم تخيليةٌ شائعةٌ بينهم، فمن النافع موعظة الناس بذلك؛ لأنه كافٍ في إقناعهم وصولًا إلىٰ الحق.

فيكون قوله: ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾؛ إشعارًا بأن النجوم كلها مسخرةٌ لقدرة الله مسيرةٌ في نظام أوجدها عليه ولا اختيار لها؛ فليست أهلًا لأن تُعبد، فحصل المقصود من القَسَم بما فيها من الدلالة علىٰ القدرة الإلهية مع الاحتراس عن اعتقاد عبادتها»[2].

والحق أن هذا المعنىٰ الذي ذكره ابن عاشور هنا قد أشار إليه قبل ذلك الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره بعبارةٍ أوجز، فقال رحمه الله في تفسير الآية الكريمة: «وفيه

---

(١) الأفُول مصدر لفعل أَفَل بمعنىٰ: غاب، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، تاج العروس، للزبيدي (٢٨/ ٧)، مادة: (أ ف ل).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٩١).

لطيفةٌ، وهي أن الله لما أقسم بالنجم شرَّفه وعظَّمه، وكان من المشركين من يعبده؛ فقرن بتعظيمه وصفًا يدل علىٰ أنه لم يبلغ درجة العبادة، فإنه هاوٍ آفِلٌ»[(١)]. ولعل ابن عاشور قد بنىٰ كلامه علىٰ ما قاله الرازي؛ إذ يُعدُّ «التفسير الكبير» للرازي أحد المصادر البارزة التي اعتمدها ابن عاشور في تفسيره «التحرير والتنوير».

ج- ما جاء منها متضمنًا بطلان ألوهية الشمس والقمر:

ومن شواهد هذا المعنىٰ العقدي أيضًا ما جاء في قوله تعالىٰ في سورة الرحمن: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥]، حيث ذكر ابن عاشورٍ تضمن هذه الآية بطلان عقيدة المشركين في إلهية هذين النيِّرين العظيمين، فقال ﷺ: «وهذا استدلالٌ علىٰ التفرد بخلق كوكب الشمس وكُرَةِ القمر، وامتنانٌ بما أودع فيهما من منافع للناس، ونظام سيرهما الذي به تدقيق نظام معاملات الناس واستعدادهم لما يحتاجون إليه عند تغيرات أجوائهم وأرزاقهم. ويتضمن الامتنان بما في ذلك من منافعهم. وفي كون هذا الخبر جاريًا علىٰ أسلوب التعديد ما قد علمت آنفًا من التَّبكيت، ووجهه: أنهم غفلوا عما في نظام الشمس والقمر من الحكمة وما يدل عليه ذلك النظام من تفرد الله بتقديره، فاشتغل بعضهم بعبادة الشمس وبعضهم بعبادة القمر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧]»[(٢)].

وبهذا يتضح لنا أن الآيات الكونية قد دلت علىٰ استحقاق الله للألوهية والوحدانية من جهتين، وهما:

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٨/ ٢٣٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٣٤).

أولًا- من جهة دلالتها على عظمة الله ﷻ وإثبات صفاته المجيدة الدالة على ذلك كالقدرة والحكمة والعلم والقهر وغيرها من الصفات.

ثانيًا- من جهة دلالتها على انتفاء الألوهية عن بعض الكائنات التي اتُّخذت معبودات من دون الله ﷻ.

وقد حرص ابن عاشور ﷺ على تجلية هذه المعاني من خلال تفسيره لهذه الآيات الكونية، سواء بالاعتماد على فهمه هو لها، أو على فهم غيره كما رأيناه في النموذج (ب).

المطلب الثاني:
دلالة الآيات الكونية على وقوع البعث

من القضايا العقدية الكبرىٰ التي جاء القرآن أيضًا لإثباتها وتقريرها في النفوس: قضية البعث وإحياء الناس بعد بِلَاهم، إذ تعد هذه القضية أهم ما جادل فيه الكفار النبي ﷺ وأنكروه من رسالته، و«الأصلَ الأصيل في تصميمهم علىٰ وجوب الإعراض عن دعوة القرآن توهمًا منهم بأنه يدعو إلىٰ المحال»(١)، كما ذكر تعالىٰ عنهم قولهم: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق:٣]، أي: مستحيلٌ. وفي هذا الصدد يقول ابن عاشور رحمه الله عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]: «مناسبة اتصال هذا الكلام بما قبله أن أهم ما جادلوا فيه من آيات الله هي الآيات المثبتة للبعث وجدالهم في إثبات البعث هو أكبر شبهةٍ لهم ضلَّلت أنفسهم وروَّجوها في عامتهم، فقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد:٥]. فكانوا يسخرون من النبيء ﷺ لأجل ذلك؛ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ:٧]»(٢).

ومما ينبئنا كذلك بمدىٰ إنكار الكفار للبعث أن هذا الوصف -كما يقول ابن عاشور- قد صار سمةً مميزةً لهم في القرآن، كما في قوله تعالىٰ: ﴿* وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الفرقان:٢١] (٣).

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٠٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٤/ ١٧٥-١٧٦).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٢١/ ١٩٣).

وإذا عرفنا هذا؛ عرفنا سبب العناية الفائقة للقرآن بمسألة إثبات يوم البعث، إذ سلك في إثباته مسالك عديدةً جدًّا[١]، وقد وُظِّفت في عددٍ منها آياتُ الله الكونية، وبيان ذلك كالتالي:

١- ما جاء منها في سياق الاستدلال على البعث بما هو أعظم منه:

وهذا من أهم المسالك التي نهجها القرآن في إثبات البعث وإسقاط وَهْمِ بُعده واستحالته من مخيلة المنكرين له، ويقوم هذا المسلك علىٰ منهج الاستدلال بالأعلىٰ علىٰ الأدنىٰ[٢]، ويُعبَّر عنه أيضًا بالاستدلال بطريق الأَوْلىٰ[٣]، وهذا الاستدلال -كما يقول الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)- في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقلٌ البتَّة[٤]، وهو مضمون ما جاء في قوله تعالىٰ في سورة غافر: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]، قال ابن عاشور في تفسير الآية: «ولما كانوا مقرِّين بأن الله هو خالق السماوات والأرض؛ أقيمت عليهم الحجة علىٰ إثبات البعث؛ بأن بعث الأموات لا يبلغ أمره مقدار أمر خلق السماوات والأرض بالنسبة إلىٰ قدرة الله تعالىٰ»[٥].

(١) انظر: منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، لمنظور بن محمد رمضان، (ص: ٣٤-٣٥).

(٢) منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، لمنظور بن محمد رمضان، (ص: ٩٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ٢٦).

(٤) التفسير الكبير، للرازي (٢٧/ ٥٢٦).

(٥) التحرير والتنوير (٢٤/ ١٧٦).

وقد تعددت شواهد هذا المعنىٰ العقدي في سور المفصل، فمن ذلك ما جاء صريح الدلالة عليه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات:٢٧]، قال ابن عاشور في تفسير الآية: «والاستفهام تقريريٌّ، والمقصود من التقرير إلجاؤهم إلىٰ الإقرار بأن خلق السماء أعظم من خلقهم، أي: من خلق نوعهم، وهو نوع الإنسان، وهم يعلمون أن الله هو خالق السماء، فلا جرم أن الذي قدر علىٰ خلق السماء قادرٌ علىٰ خلق الإنسان مرةً ثانيةً، فيُنتج ذلك أن إعادة خلق الأجساد بعد فنائها مقدورةٌ لله تعالىٰ؛ لأنه قدر علىٰ ما هو أعظم من ذلك، قال تعالىٰ: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]، ذلك أن نظرهم العقلي غيَّمت عليه العادة فجعلوا ما لم يألفوه محالًا، ولم يلتفتوا إلىٰ إمكان ما هو أعظم مما أحالوه بالضرورة»(١).

ومنها -أي: من الشواهد- ما لم يأتِ صريحًا في الدلالة علىٰ هذا المعنىٰ كدلالة الأول، ولكن ابن عاشور ﷺ حرص علىٰ استخلاص دلالته والتنبيه عليه مستندًا في ذلك علىٰ علم المناسبة بين الآيات، كما في قوله تعالىٰ في سورة الذاريات: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:٤٧]، قال ﷺ: «لما كانت شبهة نفاة البعث قائمةً علىٰ توهم استحالة إعادة الأجسام بعد فنائها؛ أعقب تهديدهم بما يقوِّض توهُّمَهم؛ فوجه إليه الخطاب يذكرهم بأن الله خلق أعظم المخلوقات ولم تكن شيئًا، فلا تُعَدُّ إعادة الأشياء الفانية بالنسبة إليها إلا شيئًا يسيرًا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]»(٢).

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٨٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ١٥).

شاهدٌ آخر: ونظير هذا أيضًا ما جاء في ذكر الآيات الكونية التي في سورة النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [النبأ:٦] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ:١٦]، قال ابن عاشور ﷺ مفسرًا هذه الآيات: «وحاصل الاستدلال بالخلق الأول لمخلوقاتٍ عظيمةٍ أنه يدل علىٰ إمكان الخلق الثاني لمخلوقاتٍ هي دون المخلوقات الأولىٰ، قال تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]»[(١)].

وبالجملة فهذا المعنىٰ العقدي تكرر في سور المفصل، لكن ابن عاشور ﷺ اعتنىٰ بإبرازه في بعض الآيات الكونية التي قد لا يدل ظاهرها علىٰ ذلك، كما في آيات الذاريات والنبأ، ولذلك قَلَّ من المفسرين من يشير عند تفسيرها إلىٰ دلالتها علىٰ هذا المعنىٰ العقدي. ولعل سبب عناية ابن عاشور بذلك هو حرصه علىٰ تجلية المقصد العقدي للقرآن الكريم، باعتباره أهم المقاصد الثمانية التي تحدث عنها في مقدمة تفسيره[(٢)].

◆ ٢- ما جاء منها في سياق الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى:

يقوم هذا المسلك علىٰ تذكير المنكرين للبعث بأصل خلقتهم الأولىٰ وهو أمر كانوا يعلمونه ويقرون به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة:٦٢]، حيث يستعرض لهم القرآن الآيات الكونية المبينة لكيفية نشوء الإنسان وأصل نشأته؛ تذكيرًا لهم بهذا المعنىٰ، وتعجيبًا من حالهم أيضًا؛ كيف ينكرون ما هو مثله أو أيسر منه؟ علىٰ احتمال فرض الصعوبة في أحدهما؛ إذ

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٣).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٤٠).

إعادة الشيء أيسر من إبداعه أول مرَّةٍ، كما هو معلومٌ[1].

ومن المواضع التي جاء فيها هذا المعنىٰ من سور المفصل قوله تعالىٰ: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [عبس:١٨]، يقول ابن عاشور ﷺ في تفسير الآية: «وجملة ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ بيانٌ لجملة ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾؛ لأن مفاد هذه الجملة الاستدلال علىٰ إبطال إحالتهم البعث، وذلك الإنكار من أكبر أصول كفرهم.

والاستفهام صُوريٌّ، وجُعل المستفهَم عنه تعيين الأمر الذي به خُلق الإنسان؛ لأن المقام هنا ليس لإثبات أن الله خلق الإنسان، بل المقام لإثبات إمكان إعادة الخلق بتنظيره بالخلق الأول علىٰ طريقة قوله تعالىٰ: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ [ق:١٥]، أي كما كان خلق الإنسان أول مرةٍ من نطفةٍ يكون خلقه ثاني مرةٍ من كائنٍ مَّا، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ في سورة الطارق [٥-٨]»[2].

شاهدٌ آخر: ومن المواطن الأخرىٰ التي جاء فيها هذا المعنىٰ أيضًا قوله تعالىٰ في سورة القيامة متحدثًا عن الإنسان: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْيِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة:٣٧-٤٠]، حيث تكلم ابن عاشور هنا بما يبين هذا المعنىٰ بيانًا شافيًا[3].

◆ ◆ ◆

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٦٨).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٢٢).

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٦٦-٣٦٨).

٣- ما جاء منها في سياق الاستدلال على البعث بالمماثلة والمشابهة:

لا يخفىٰ ما لهذا المسلك أيضًا من أثرٍ في تقرير المعاني المعقولة في النفوس، وتقريبها للأذهان؛ فضَرْبُ الأمثال للمعاني المعقولة بالأشياء المشاهدة المحسوسة من شأنه -كما يقول الزمخشري- «رفع الأستار عن الحقائق حتىٰ تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهدٌ»(١).

أ- التمثيل بالإنبات:

ومن أكثر ما ضُرب به المثل في القرآن بقصد تقريب حقيقة البعث إلىٰ الأذهان وإثبات كونه داخلًا في حيز الإمكان حالُ خروج النبات من الأرض؛ فهي أشبه الأحوال بحال الإنسان في تكونه وتشكُّله، وفي هذا يقول ابن عاشور ﷺ عند تفسير قوله تعالىٰ في سورة نوحٍ، وهي من سور المفصل: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح:١٧]: «وأطلق علىٰ معنىٰ: أنشأكم، فعل أنبتكم للمشابهة بين إنشاء الإنسان وإنبات النبات من حيث إن كليهما تكوينٌ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا﴾ [آل عمران:٣٧]، أي أنشأها، وكما يقولون: زَرَعك الله للخير، ويزيد وجه الشبه هنا قُربًا من حيث إن إنشاء الإنسان مُرَكَّبٌ من عناصر الأرض»(٢).

شاهدٌ آخر: ومن المواطن أيضًا الوارد فيها هذا الاستدلال ضمن سور المفصل قوله تعالىٰ في سورة عبس: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [عبس:٢٤-٣٢]، حيث بيَّن فيها ابن عاشور هذا المعنىٰ تبيينًا

(١) الكشاف، للزمخشري (١/ ٧٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٠٤).

شافيًا؛ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «وهذا استدلالٌ آخر على تقريب كيفية البعث.. فأمرَ الله الإنسان بالتفكير في أطوار تكوُّن الحبوب والثمار التي بها طعامه، وقد وصف له تطور ذلك ليتأمل ما أودع إليه في ذلك من بديع التكوين، سواءً رأى ذلك ببصره أم لم يرَه، ولا يخلو أحدٌ عن علمٍ إجماليٍّ بذلك، فيزيده هذا الوصف علمًا تفصيليًّا، وفي جميع تلك الأطوار تمثيلٌ لإحياء الأجساد المستقرة في الأرض، فقد يكون هذا التمثيل في مجرد الهيئة الحاصلة بإحياء الأجساد، وقد يكون تمثيلًا في جميع تلك الأطوار بأن تخرج الأجساد من الأرض كخروج النبات؛ بأن يكون بذرها في الأرض ويرسل الله لها قوًى لا نعلمها تشابه قوة الماء الذي به تحيا بذور النبات، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ [نوح:١٧-١٨].

وفي «تفسير ابن كثيرٍ» عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير:٧] عن ابن [أبي] حاتمٍ بسنده إلى ابن عباسٍ: «يسيل وادٍ من أصل العرش فيما بين الصَّيحتين؛ فينبت منه كل خلقٍ بَليَ؛ إنسانٍ أو دابةٍ، ولو مَرَّ عليهم مارٌّ قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم، قد نبتوا على وجه الأرض، ثم تُرسَل الأرواحُ فتُزوَّج الأجسادَ»[(١)] اهـ.»[(٢)].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، برقم (١٩١٤٧). ويغني عن هذا الأثر قوله ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قيل: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قيل: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قيل: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ». صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ [النبأ: ١٨]: زُمَرًا، برقم: (٤٩٣٥).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٣٠).

شاهدٌ آخر: وهنا قد ينتزع ابن عاشورٍ هذا المعنىٰ العقدي انتزاعًا من بعض الآيات الكونية التي يفسرها مستندًا في ذلك علىٰ ذوقه البلاغيِّ الرفيع في تدبُّر الآيات، كما نلاحظه في تفسير قوله تعالىٰ في سورة النبأ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ:١٤-١٦]، حيث يتوقف ﷺ مع عبارة «لنخرج» ليبين سبب إيثار القرآن لها في هذا الموضع بدل «ننبت»؛ ليربط ذلك كله بقضية البعث، فيقول ﷺ: «وجيء بفعل لنخرج دون نحو: لننبت، لأن المقصود الإيماء إلىٰ تصوير كيفية بعث الناس من الأرض، إذ ذلك المقصد الأول من هذا الكلام، ألا ترىٰ أنه لما كان المقصد الأول من آية سورة (ق) هو الامتنان جيء بفعل «أنبتنا» في قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ [ق:٩] الآية. ثم أتبع ثانيًا بالاستدلال به علىٰ البعث بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق:١١]. والبعث خروج من الأرض قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥]»[(١)].

والذي يتلخص لنا من كلام ابن عاشور أن إيثار هذه الظاهرة الكونية لتكُون مثالًا للبعث دالًّا عليه راجعٌ إلىٰ أمور، وهي:

أولًا- التشابه البيِّن في كيفية التكوين بين الإنسان والنبات؛ ولذلك يُعبَّر عن نشوء الإنسان بالإنبات، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران:٣٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح:١٧].

ثانيًا- تشارك الإنسان والنبات في الأصل المكوَّنَان منه وهو الأرض، كما قال تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران:٥٩].

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٦).

ثالثًا- أن البعث إخراجٌ للإنسان من الأرض، وكذلك الإنبات إخراجٌ للنبات من الأرض، فكان الإنبات بذلك أقرب الظواهر الكونية مشابهةً للبعث؛ ولذلك استدل الله به علىٰ البعث في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ [ق:٩] الآية، حيث أعقبها بقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق:١١] أي: إن خروج الناس من القبور يوم البعث كخروج النبات من الأرض.

ب- التمثيل بغروب الشمس وشروقها:

ومما ضُرب به المثل أيضًا لقضية البعث ما يقع من غروب الشمس وشروقها، إذ تُقارِب هذه الظاهرةُ الكونية في هيئتها مسألةَ الإحياء والإماتة المرتبطة بالبعث؛ إذ تماثلُ صورةُ شروق الشمس بعد غروبها صورةَ إحياء الناس بعد موتهم. ويؤيد هذا التقارب بين الصورتين أن إبراهيم عليه السلام حَاجَّ بذلك النمرود بن كنعان حين مَوَّه علىٰ قومه في قضية الإحياء والإماتة، كما قصَّه علينا القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨](١).

وقد حرص ابن عاشور رحمه الله علىٰ الإشارة إلىٰ هذا المعنىٰ في سور المفصل أيضًا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج:٤٠]، حيث قال في هذا الصدد: «وفي إيثار المشارق والمغارب بالقَسَم بربها رعيٌ لمناسبة طلوع الشمس بعد غروبها؛ لتمثيل الإحياء بعد الموت»(٢).

(١) وقد قرر ابن عاشور هذا المعنىٰ في تفسيره (١٩/ ١٢٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٧٩).

ولعل ما يؤكد لنا هذا الاستنباط الذي ذكره ابن عاشور ﷺ ويقوي جانبه: أن المقسَم عليه هنا هو إثبات البعث، وهو مضمون قوله تعالىٰ بعدُ: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج:٤٠-٤١]، فأتىٰ القرآن في المقسَم به بما يناسب المقسَم عليه؛ وهذا الأمر مرعيٌ في القرآن وكثير الورود فيه، بل هو معدودٌ من أسراره العجيبة[(١)]، ففي القرآن -كما يقول الشيخ محمد أبوشهبة ﷺ- توافقٌ عجيبٌ بين المقسَم به والمقسَم عليه قد يخفىٰ علىٰ غير ذي العقل الذكيِّ والنظر الشفاف والحس الدقيق[(٢)].

ج- التمثيل بتعاقب الليل والنهار:

ومما ضُرب به المثل أيضًا علىٰ إمكان البعث ظاهرة تعاقب الليل والنهار؛ إذ يناسب النهار بضيائه الحياة، ولذلك يسمىٰ الهبوب في النهار بَعْثًا، كما يناسب الليل بظلمته الموت، ولذلك سمىٰ الله النوم وفاةً في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام:٦٠][(٣)]. وقد تكرر إيراد هذا الدليل في القرآن كثيرًا، كما في قوله تعالىٰ في سورة المؤمنون: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون:٨٠]، حيث جاءت الآية جامعةً بين الإحياء والإماتة واختلاف الليل والنهار تمثيلًا بذلك للبعث وتقريبًا له، ويؤيد هذا كونها جاءت في سياق الجواب علىٰ إنكار الكفار للبعث بدليل قوله تعالىٰ بعد ذلك: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٨١ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا

(١) دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل، (ص: ٤١٤).

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد أبو شهبة، (ص ٢٤٦).

(٣) التحرير والتنوير (١٨/ ١٠٦).

لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [المؤمنون:٨١-٨٢]. وكما في قوله تعالىٰ أيضًا في سورة النمل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النمل:٨٦]، قال ابن عاشور في تفسير الآية: «وفيها تذكيرٌ بتمثيل الموت والحياة بعدَه بسكون الليل وانبثاق النهار عَقِبَه»(١).

ومن شواهد هذا المعنىٰ في سور المفصل ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ:١٠]، حيث بيَّن ابن عاشور دلالة هذه الآية علىٰ البعث، فقال ﷺ في تفسيرها: «.. فلا جرم كان نظام الليل آيةً علىٰ انفراد الله تعالىٰ بالخلق وبديع تقديره.

وكان دليلًا علىٰ أن إعادة الأجسام بعد الفناء غير متعذرةٍ عليه تعالىٰ، فلو تأمل المنكرون فيها لعلموا أن الله قادرٌ علىٰ البعث.»(٢).

د- التمثيل باليقظة بعد المنام:

ومما يتصل بما سبق كذلك، وضُرب به المثل علىٰ إمكان البعث: ظاهرة اليقظة بعد المنام، وهي من أخص أحوال الإنسان وأكثرها تواردًا عليه، إذ تماثل هذه الظاهرة الكونية قضية البعث مماثلةً شديدةً؛ ولذلك أُطلق علىٰ النوم اسم الوفاة الصغرىٰ في إزاء الوفاة الكبرىٰ الذي هو الموت(٣)، ويدل علىٰ هذا التقارب الشديد قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر:٤٢]. وفي هذا يقول ابن عاشور: «والتوفي حقيقته الإماتة، لأنه

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٤٣).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٠-١٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٠١).

حقيقةٌ في قبض الشيء مستوفًى. وإطلاقه على النوم مجازٌ لشبه النوم بالموت في انقضاء الإدراك والعمل. ألا ترى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢] الآية»[(١)].

وقد حرص ابن عاشور أيضًا على تجلية هذا المعنى في سور المفصل، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ:٩]، حيث قال ﷺ في تفسير هذه الآية: «انتقل من الاستدلال بخلق الناس إلى الاستدلال بأحوالهم، وخص منها الحالة التي هي أقوى أحوالهم المعروفة شبهًا بالموت الذي يعقبه البعث، وهي حالةٌ متكررةٌ لا يخلون من الشعور بما فيها من العبرة؛ لأن تدبير نظام النوم وما يطرأ عليه من اليقظة أشبه حالٍ بحال الموت وما يعقبه من البعث.

.. فإضافة نومٍ إلى ضمير المخاطبين ليست للتقييد لإخراج نوم غير الإنسان، فإنَّ نوم الحيوان كله سُباتٌ، ولكن الإضافة لزيادة التنبيه للاستدلال، أي أن دليل البعث قائمٌ بَيِّنٌ في النوم الذي هو من أحوالكم»[(٢)].

فهذه -إذن- بعض الظواهر الكونية التي استُدل بها على أمر البعث، والذي نستشِفُّه من كلام ابن عاشور المتقدم أنها قد اشتملت على ميزتين كانتا وراء إيثارها؛ لتكون مضرب مثلٍ على ذلك، وهما:

أولًا- قوة شَبَهها بحالة البعث؛ كما تقدم ذكره والإشارة إليه في التمثيل بالإنبات، وهو أوضح ما يكون في اليقظة بعد النوم.

(١) التحرير والتنوير (٧/ ٢٧٥).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٨).

ثانيًا- شدة ملازمتها لحياة الإنسان بحيث لا يحتاج النظرُ والتأمُّلُ فيها إلىٰ بحثٍ وتكلفٍ، سوىٰ استحضار القلب عند مشاهدتها أو التلبُّس بها، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق:٣٧]. فمن مميزات التمثيل القرآني أنه يراعي معرفة المخاطب بالممثَّل به معرفةً يحصل من خلالها المقصد من ضرب المثل، وهو تقريب المعنىٰ إلىٰ الذهن وإزالة الغرابة عنه، ولذلك لما قيل للحسن البصري رحمه الله (ت ١١٠هـ): «الفيل أعظم في الأعجوبة من الإبل!»، يقصدون قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ [الغاشية:١٧]، قال في جوابه: «العرب بعيدة العهد بالفيل»[(١)].

◆ ٤- ما جاء منها في سياق الاستدلال على البعث بالانتقال من شيءٍ إلى شيءٍ:

وهذا من المسالك الدقيقة التي استعملها القرآن في إثبات البعث، وهو في الحقيقة فرعٌ عن الذي قبله، وقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٨٠]، حيث «ربط القرآن أمر البعث بإخراج النار من الشجر الأخضر الريَّان بالماء، الذي يستحيل فيه وجود النار، ليفحم المعاندين علىٰ خلق الأشياء من ضدها ومن غير مادتها»[(٢)]، إذ كانوا يستبعدون البعث بسبب ذلك؛ ويبيِّنه أن هذه الآية جاءت في سياق الجواب علىٰ إنكار البعث: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٧٧-٨٠].

ومن الشواهد علىٰ هذا المعنىٰ العقدي في سور المفصل، وهو من الشواهد

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٢/ ٢٥١).

(٢) منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، (ص: ٨٩).

البارزة في القرآن عمومًا، ما ذكره الله في شأن ذلك في سورة الواقعة من قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة:٥٨] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة:٧١-٧٢]، حيث تضمنت هذه الآيات الكونية هذا المعنىٰ العقدي، وقد أجمل ذلك العلاَّمة أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) في تفسيره بعبارةٍ دقيقةٍ، فقال ﷺ: «وهذه الأربعة التي ذكرها الله تعالىٰ ووقفهم عليها، من أمر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعوم والمشروب والنار من أعظم الدلائل علىٰ البعث، وفيها انتقالٌ من شيءٍ إلىٰ شيءٍ، وإحداث شيءٍ من شيءٍ»(١).

ولم يفوِّت ابن عاشور ﷺ أيضًا الإشارة إلىٰ هذا المعنىٰ الدقيق فذكر أن في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة:٦٣-٦٤] الإشارةَ إلىٰ تولد الزرع من حبةٍ أُخذت هي بدورها من زرعٍ آخرَ، وهو ما يشبهه تولُّدُ العظام الجديدة من عظامٍ باليةٍ، فقال ﷺ: «ويؤخذ من الآية إيماءٌ لتمثيل خلق الأجسام خلقًا ثانيًا مع الانتساب بين الأجسام البالية والأجسام المجدَّدة منها بنبات الزرع من الحبة التي هي منتسبةٌ إلىٰ سنبلةِ زرعٍ أخذت هي منها فتأتي هي بسنبلةٍ مثلها»(٢).

شاهدٌ آخر: ويشير إلىٰ نحو هذا المعنىٰ أيضًا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة:٦٨-٦٩]، حيث قال: «ووجه الاستدلال إنشاء ما به الحياة بعد أن كان معدومًا بأن كوَّنه الله في السحاب بحكمة تكوين الماء. فكما استدل بإيجاد الحي من أجزاءٍ ميتةٍ في خلق

(١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (٨/ ٢١٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٢١).

الإنسان والنبات استدل بإيجاد ما به الحياة عن عدم تقريبًا لإعادة الأجسام بحكمةٍ دقيقةٍ خفيةٍ، أي يجوز أن يمطر الله مطرًا على ذوات الأجساد الإنسانية يكون سببًا في تخلقها أجسادًا كاملةً كما كانت أصولها، كما تتكون الشجرة من نواة أصلها»[(١)].

غير أن الذي يظهر من كلام ابن عاشور هنا أنه يرى أن دلالة هذه الكائنات على البعث في انتقالها من شيءٍ إلى شيءٍ إنما هو متحقِّقٌ في كونها تنتقل مما يشبه العدم أو الشيء الميت إلى شيءٍ آخر حيٍّ؛ وهو هنا إخراج الإنسان من مَنِيٍّ، والزرع من حَبٍّ، والماء من سحابٍ، والنار من أعوادِ شجرٍ، ولذلك قال في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة:٧١-٧٢]: «وهذا استدلالٌ على تقريب كيفية الإحياء للبعث من حيث إن الاقتداح إخراجٌ، والزَّنْد الذي به إيقاد النار يُخرَج من أعواد الاقتداح وهي ميتةٌ»[(٢)].

وهذا الذي ذكره ابن عاشور في الحقيقة أظهر في الدلالة على البعث، وأقوى من مجرد القول إن انتقال هذه الكائنات من شيءٍ إلى شيءٍ فيه دليلٌ على ذلك دون تحديد هذا المعنى الدقيق الذي ذكره؛ إذ إن البعث إنما هو تجديد حياة الإنسان من شيءٍ ميتٍ أو من عدمٍ، فناسب أن يكون دليله على شاكلته.

◆ ٥- ما جاء منها في سياق الإخبار بأحوالٍ وأهوالٍ تقع يوم القيامة:

من المسالك القرآنية الدقيقة أيضًا في إثبات البعث الإخبار بما يقع في يوم القيامة، إذ من طريقة القرآن في محاججة المنكرين للبعث أنه لا يردُّ عليهم دائمًا بسوق الأدلة التي سبق ذكرها، بل ينتقل بهم في أحايين كثيرةٍ إلى التعريف مباشرةً

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٢٤).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٢٥).

ببعض الوقائع والأحداث الرهيبة التي تحيط بذلك اليوم؛ وفي ذلك إثباتٌ له من جهةٍ، وتخويفٌ لهم من جهةٍ أخرىٰ. وقد أشار ابن عاشور ﷺ إلىٰ ما يدل علىٰ هذا الأمر عند تفسير قوله تعالىٰ في آخر سورة لقمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان:٣٣] الآية، حيث قال: «وخشية اليوم: الخوف من أهوال ما يقع فيه إذ الزمان لا يُخشىٰ لذاته، فانتصب يومًا علىٰ المفعول به. والأمر بخشيته تتضمن وقوعه، فهو كنايةٌ عن إثبات البعث»[(١)]. ونظير هذا في سور المفصل قوله تعالىٰ في سورة الطور: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾ [الطور:٧]، قال ابن عاشور: «وتضمن قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾ [الطور:٧] إثبات البعث بعد كون الكلام وعيدًا لهم علىٰ إنكار البعث وإنكارهم أن يكونوا معذبين»[(٢)]. وبهذا يتضح أن من وراء هذا المسلك غرضين وهما: إثبات البعث، والتخويف منه.

وقد مثَّلت الآيات الكونية عنصرًا رئيسًا في إثبات البعث من خلال هذا المسلك، وذلك من خلال تصوير القرآن لما يلحقها من تغيرٍ هائلٍ ومرعبٍ في ذواتها ونظامها الذي ألفه الناس، حيث يؤذِن ذلك التغيُّر المفاجئ الذي يحصل لها بخراب العالم ونهايته ووقوع البعث وبدايته، وشواهد هذا المعنىٰ عديدةٌ في سور المفصل؛ من أوضحها ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾ [الآيات: ١-١٢] من سورة التكوير، يقول ابن عاشور ﷺ: «واعلم أن تقديم المسند إليه في الجمل الثنتي عشرة المفتتحات بكلمة (إذا) من قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ إلىٰ هنا، والإخبار عنه بالمسند الفعلي مع إمكان أن يقال:

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ١٩٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٤٠).

إذا كوِّرت الشمس وإذا انكدرت النجوم وهكذا، كما قال: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٧]، أن ذلك التقديم لإفادة الاهتمام بتلك الأخبار المجعولة علاماتٍ ليوم البعث؛ توسُّلًا بالاهتمام بأشراطه إلىٰ الاهتمام به وتحقيق وقوعه»(١).

ونحن نلاحظ هنا كيف وَظَّف القرآن في سورة التكوير عددًا من الكائنات العظيمة قصد إثبات البعث من خلالها؛ كالشمس والنجوم والبحار والجبال والعشار والوحوش والسماء، وذلك من خلال تصوير ما يطرأ عليها من تغيُّراتٍ هائلةٍ وقتئذٍ، وهو ما يُعرف أيضًا بأشراط الساعة الكبرىٰ. كما نلاحظ أيضًا كيف وَظَّف ابن عاشور ذوقه البلاغيَّ الرفيع في استخلاص هذا المعنىٰ العقديِّ المتعلق بإثبات البعث، وذلك من خلال إبرازه الغرض من تقديم المسند إليه في هذه الآيات، والإخبار عنه بمسندٍ فعليٍّ، رغم إمكان جعل الجملة فعليةً، علىٰ غرار ما ورد في الآية من سورة الرحمن التي مثَّل بها، والغرض -من ذلك كما يقول- هو لفت النظر إلىٰ ما يقع لهذه الكائنات من أحوالٍ رهيبةٍ تدل علىٰ وقوع يوم البعث.

◆ ◆ ◆

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٥٠).

المطلب الثالث:

دلالة الآيات الكونية على امتنان الله على عباده

إن من الأغراض المهمة التي اقترنت بذكر الآيات الكونية في القرآن الكريم هو سوقها للدلالة بها علىٰ إنعام الله علىٰ عباده وتذكير الناس بذلك، إذ يعد هذا الغرض إلىٰ جانب الغرضين السابقين أهم ما اقترن بالآيات الكونية من الدلالات والمعاني عمومًا(١).

وهذا الغرض غالبًا ما يأتي مدمجًا مع الغرضين السابقين أو أحدهما في كثيرٍ من الآيات الكونية، ولعل الحكمة من وراء هذا الإدماج - كما نستشِفُّه من كلام ابن عاشور- تتجلَّىٰ في ثلاثة أمورٍ:

أولًا- الجمع بين خطاب العقل والوجدان؛ فإذا كان ما تقدم ذكره في المطلبين السابقين من دلالاتٍ ومعانٍ متعلقة بالآيات الكونية قد جاء خطابًا للعقل قُصد به إقام الحجة علىٰ المعاندين في الوحدانية والبعث، فإن هذه الدلالة الثالثة بما فيها من تذكيرٍ بأثر نِعَم الله عليهم في تيسير أمور حياتهم مشتملةٌ علىٰ خطابٍ لهم من جهة العاطفة والوجدان، وذلك بقصد تحريك قلوبهم وكسر شوكة العناد فيهم، ولهذا قال ابن عاشور في تفسير الآيات الكونية الوارد ذكرها في سورة النبأ من قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [النبأ:٦] الآيات: «والغرض من الامتنان هنا تذكيرهم

(١) ينظر ما يدل علىٰ ذلك في التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٢٧) عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤].

بفضل الله لعلهم أن يَرْعَوُوا عن المكابرة[1]، ويُقبِلوا على النظر فيما يدعوهم إليه الرسول ﷺ تبليغًا عن الله تعالىٰ»[2].

ثانيًا- التنبيه علىٰ بطلان عبادتهم للأصنام من جهة أن العبادة شكر، والشكر يستحقه من يخلق ويُنعِم لا من لا يخلق ولا يُنعِم، فلا يستقيم أن يقروا لله بالربوبية ثم يعبدوا غيره! وهذا في الحقيقة استدلالٌ آخر عليهم من جهة العقل ينضاف إلىٰ دليل إظهار العظمة والقدرة المستلزم لتوحيده ﷻ. وفي هذا يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالىٰ في سورة النحل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]، قال: «استئنافٌ لذكر دليلٍ آخر من مظاهر بديع خلق الله تعالىٰ أدمج فيه امتنانٌ.. وصيغة تعريف المسند إليه والمسند أفادت الحصر، أي: هو لا غيره. وهذا قصرٌ علىٰ خلاف مقتضىٰ الظاهر، لأن المخاطبين لا ينكرون ذلك، ولا يَدَّعون له شريكًا في ذلك، ولكنهم لما عبدوا أصنامًا لم تنعم عليهم بذلك كان حالهم كحال من يدَّعي أن الأصنام أنعمت عليهم بهذه النعم، فنُزِّلوا منزلة من يدعي الشركة لله في الخلق»[3].

ثالثًا- المبالغة في التشنيع علىٰ من استمر من الكافرين في عناده وشركه بأنه مرتكبٌ لجريمتين عظيمتين، وهما: مخالفة الحق، وكفران النعمة. وفي هذا يقول ابن عاشور: «وفي إدماج الاستدلال بالامتنان تعريضٌ بأن الذين جعلوا لله شركاء

(١) يقال: ارْعَوىٰ عَن القَبيحِ رَعْواً وارْعِواءً، أي: كَفَّ عَنهُ. تاج العروس، للزّبيدي (٣٨/ ١٦٢) مادة: (ر ع و).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٤/ ١١٣).

جمعوا وصمتين هما: وصمة مخالفة الحق، ووصمة كفران النعمة»[1].

وهذا المعنىٰ العقدي الذي نحن في صدد الحديث عنه له شواهد كثيرةٌ في سور المفصل، وقد حرص ابن عاشور ﵀ علىٰ التنبيه علىٰ ذلك في مواضعه، ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥]، حيث قال: «وهذا استدلالٌ علىٰ التفرُّد بخلق كوكب الشمس وكُرَةِ القمر، وامتنانٌ بما أودع فيهما من منافع للناس، ونظام سيرهما الذي به تدقيق نظام معاملات الناس واستعدادهم لما يحتاجون إليه عند تغيرات أجوائهم وأرزاقهم. ويتضمن الامتنان بما في ذلك من منافعهم»[2].

شاهدٌ آخر: ومن الشواهد أيضا ما جاء في آية النوم في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا﴾ [النبأ:٩]، يقول ابن عاشور ﵀: «وفي هذا امتنانٌ علىٰ الناس بخلق نظام النوم فيهم، لتحصل لهم راحةٌ من أتعاب العمل الذي يكدحون له في نهارهم، فالله تعالىٰ جعل النوم حاصلًا للإنسان بدون اختياره، فالنوم يلجىء الإنسان إلىٰ قطع العمل لتحصل راحةٌ لمجموعه العصبي الذي رُكنُه في الدماغ، فبتلك الراحة يستجد العصب قواه التي أوهنها عمل الحواس وحركات الأعضاء وأعمالها، بحيث لو تعلقت رغبة أحدٍ بالسهر لا بد له من أن يغلبه النوم، وذلك لطفٌ بالإنسان؛ بحيث يحصل له ما به منفعةُ مَدَارِكِهِ قسرًا عليه لئلا يتهاون به، ولذلك قيل: إن أقل الناس نومًا أقصرهم عمرًا، وكذلك الحيوان»[3].

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٢٧٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٣٤).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٩).

ونحن نلاحظ هنا كيف يحرص ابن عاشور على إظهار مواطن المنة في آية النوم مستفيدًا في ذلك بمعارفه العلمية في الموضوع، وهذا من منهجه في تفسير الآيات الكونية، كما يظهر ذلك في مواضع عديدةٍ من تفسيره.

ومن مميزاته أيضًا هنا أنه قد ينتزع هذه الدلالة من بعض الآيات الكونية في حين قد لا يظهر ذلك لغيره، وهذا من دقة تدبُّره للآيات ومعرفته بمقاصدها وأغراضها، وتمكُّنه من فنون البلاغة، كما نلاحظه في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس:١٨-١٩]، حيث قال: «وفُرع على فعل «خَلَقَهُ»؛ فعل «فقَدَّرَه» بفاء التفريع؛ لأن التقدير هنا إيجاد الشيء على مقدارٍ مضبوطٍ منظَّمٍ كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، أي: جعل التقدير من آثار الخلق؛ لأنه خلقه متهيئًا للنماء وما يلابسه من العقل والتصرف وتمكينه من النظر بعقله والأعمال التي يريد إتيانها، وذلك حاصلٌ مع خلقه مدرجًا مفرعًا.

وهذا التفريع وما عطف عليه إدماجٌ للامتنان في خلال الاستدلال»[(١)].

◆ ◆ ◆

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٢٣).

المطلب الرابع:
دلالة الآيات الكونية على التهديد والوعيد

من الدلالات الدقيقة أيضًا التي ارتبطت بالآيات الكونية واحتاج استنباطها إلىٰ تأمُّلٍ وتدبُّرٍ دلالتها علىٰ الوعيد والتهديد، فكما تجيء هذه الآيات الكونية في سياق الامتنان علىٰ العباد فقد تجيء كذلك في ضده وهو سياق الوعيد والتهديد؛ وذلك أن الكائنات المخَبر عنها في هذه الآيات تعتبر جندًا من جند الله تعالىٰ يسخرها لمن يشاء من عباده؛ لتكون له عطاءً ومنَّةً، كما يسلطها علىٰ من يشاء منهم ممن استحق العذاب والعقاب؛ لتكون عليه بلاءً ونقمةً. وقد أومأ إلىٰ هذا المعنىٰ الذي ذكرناه الآياتُ الكونية التي جاءت في سياق الإخبار عن إهلاك الله للأمم السابقة التي كذَّبت الرسل؛ إذ كان هلاكها بما هو أصل خلقتها وبه قوام وجودها، مثل التراب والماء والهواء والنار، وهذه من أجلِّ العطايا والنعم، وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ اللطيفِ الفخرُ الرازي (ت ٦٠٦هـ) عند تفسير الآيات من سورة الذاريات في إهلاك الله لقوم لوطٍ وفرعون وعادٍ وثمود، حيث قال هنالك: «وفيه إشارةٌ إلىٰ أنه تعالىٰ إذا عذَّب قَدَر علىٰ أن يعذب بما به البقاء والوجود وهو التراب والماء والهواء والنار، فحكايات لوطٍ تدل علىٰ أن التراب الذي منه الوجود والبقاء إذا أراد الله جَعَله سبب الفناء، والماء كذلك في قوم فرعون، والهواء في عادٍ، والنار في ثمود، ولعل ترتيب الحكايات الأربع للترتيب الذي في العناصر الأربعة»(١).

وهذا الشاهد الذي ذكرتُه آنفًا لهذا المعنىٰ العقدي هو من سور المفصل لأنه

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٨/ ١٨٩).

من سورة الذاريات، وقد نقل ابن عاشور كلام الرازي المذكور وأثنى عليه وأقرَّه، حيث وصفه بأنه من دقائق فخر الدين الرازي[1].

شاهدٌ آخر: ومن الشواهد الأخرى أيضًا لهذا المعنى قوله تعالى في سورة الملك: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك:١٩]، وقد فات ابن عاشور أيضًا التنبيه على هذا المعنى من خلال هذه الآية الكريمة، بينما نبَّه عليه غيره من المفسرين ممن اشتهر أيضًا بالاهتمام ببيان المناسبات بين الآيات وهو العلاَّمة أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ). فابن عاشور ﷺ ركَّز في تفسير هذه الآية الكونية على دلالتها على عظمة الله وقدرته، وجعل مدار كلامه على هذا المعنى[2]، بينما أشار أبو حيان الأندلسي إلى دلالتها على هذا المعنى العقدي الذي نحن في صدد الحديث عنه، أعني: دلالتها على الوعيد والتهديد، فقال ﷺ: «ولما حذرهم ما يمكن إحلاله بهم من الخسف وإرسال الحاصب، نبههم على الاعتبار بالطير وما أحكم من خلقها، وعن عجز آلهتهم عن شيءٍ من ذلك، وناسب ذلك الاعتبار بالطير، إذ قد تقدَّمه ذكر الحاصب، وقد أهلك الله أصحاب الفيل بالطير والحاصب الذي رمتهم به، ففيه إذكارُ قريشٍ بهذه القصة، وأنه تعالى لو شاء لأهلكهم بحاصبٍ ترمي به الطير، كما فعل بأصحاب الفيل»[3]. وهذا معنًى دقيقٌ تنبه إليه أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

فهذه من أهم الدلالات العقدية التي اقترنت بالآيات الكونية مما أمكن الوقوف عليه من خلال تفسير ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أساسًا، وفيما يلي يأتي الحديث عن الدلالات غير العقدية في هذا النوع من الآيات.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ١٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٧).

(٣) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (١٠/ ٢٢٧).

المبحث الثاني:

الدلالات الأخلاقية والتشريعية وغيرها في الآيات الكونية

لا جرم أن اهتمام القرآن بإثبات شؤون العقيدة قد احتل الصدارة والأولوية، وهو ما يمكن أن نلاحظه بوضوحٍ من خلال المبحث السابق الذي خصصته لهذا الجانب، حيث قدمتُ هنالك كلام ابن عاشور في كون «إصلاح الاعتقاد أهم ما ابتدأ به الإسلام، وأكثر ما تعرض له؛ وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاحٍ»[(١)].

غير أنه لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن نقول إن موضوعات القرآن واهتماماته مقصورةٌ علىٰ هذا الجانب فحسب؛ إذ يمثل الجانب الأخلاقي أيضًا، وكذا الجانب التشريعي المتعلق بعمل الجوارح موضوعاتٍ ومقاصد كبرىٰ جاء القرآن لتقريرها للناس وتبيينها لهم بإزاء الجانب العقديِّ، ولذلك قدَّم ابن عاشور ﷺ ذكرَ هذه الأمور الثلاثة علىٰ غيرها عند حديثه عن المقاصد الأصلية الثمانية التي جاء القرآن لتبيانها، فذكر أولًا: إصلاح الاعتقاد، وثانيًا: تهذيب الأخلاق، وثالثًا: التشريع[(٢)].

ومن هنا فلا غرابة أن نجد بعض الآيات الكونية توظَّف للدلالة علىٰ الجانبين الأخلاقي والتشريعي، وتحمل في ثناياها ما يقرر بعض مسائلهما. وهذا الأمر هو ما سأتناوله فيما يلي في ضوء ما جاء في تفسير ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لتلك الآيات.

(١) التحرير والتنوير (٣/ ١٩٤).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٤٠).

المطلب الأول:

دلالة الآيات الكونية على الجانب الأخلاقي: العدل نموذجًا

لا يخفىٰ أن العدل وهو «الإنصاف في الحكم ووضع الحق مواضعَه» من القيم الإسلامية التي دعا القرآن إليها كثيرًا، كما في قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء:٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل:٩٠]، ونحو ذلك من الآيات العديدة التي جاءت في بيان فضل العدل والأمر به؛ يقول ابن عاشور ﵀ في معرض بيان أن هلاك الظَّلَمَة نعمةٌ تستوجب الشكر: «وإنما كان هلاكهم صلاحًا لأن الظلم تغيير للحقوق وإبطالٌ للعمل بالشريعة، فإذا تغير الحق والصلاح جاء الدمار والفوضىٰ وافتتن الناس في حياتهم، فإذا هلك الظالمون عاد العدل، وهو ميزان قوام العالم»(١). وهذه عبارةٌ جامعةٌ من ابن عاشور في وصف العدل مستمدةٌ من نصوص الشريعة.

هذا، وقد وُظِّفت في القرآن الكريم بعض الآيات ذات الإشارات الكونية في إبراز قيمة هذا الخلق العظيم الذي عليه صلاح أمر الدنيا والآخرة، ومثال ذلك ما نجده في قصة النَّملة مع سليمان ﵇ في قوله تعالىٰ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل:١٧-١٨]، يقول ابن عاشور ﵀ مبينًا دلالة هذه الآية علىٰ قيمة العدل في الحكم وأن أثره يتجاوز الإنسان

(١) التحرير والتنوير (٧/ ٢٣٢).

ليبلغ سائر المخلوقات: «وإنما تعجَّبَ -أي: سليمان عليه السلام- من أنها عرفت اسمه وأنها قالت: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، فوسمته وجنده بالصلاح والرأفة، وأنهم لا يقتلون ما فيه روحٌ لغير مصلحةٍ، وهذا تنويهٌ برأفته وعدله الشامل لكل مخلوقٍ لا فساد منه أجراه الله علىٰ نملةٍ ليَعلَم شرفَ العدل ولا يحتقر مواضعه، وأن ولي الأمر إذا عدل سرىٰ عدله في سائر الأشياء وظهرت آثاره فيها حتىٰ كأنه معلومٌ عند ما لا إدراك له، فتسير جميع أمور الأمة علىٰ عدلٍ. ويضرب الله الأمثال للناس، فضَرب هذا المثل لنبيئه سليمان بالوحي من دلالة نملةٍ»[1].

وأما الشواهد علىٰ هذا المعنىٰ في سور المفصل، فنجدها في موضعين:

الأول: ما جاء في قوله تعالىٰ في سورة الرحمان: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [النمل:١٨]، حيث تضمنت هذه الآية تنويهًا بخُلُق العدل تجلَّىٰ في ذكره مقرونًا بالسماء؛ وفي ذلك عدة دلالاتٍ:

أحدها: الإشارة إلىٰ علو العدل ورفعته؛ لأن من معاني السماء العلو والرفعة، كما في الآية الكريمة: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمن:٧]. فالرفع هنا يحتمل -إلىٰ جانب كونه ماديًّا حقيقيًّا- أن يكون مجازيًّا معنويًّا، بمعنىٰ: «رَفَع قَدْرَها ومنزلتها في قلوب الخلق»[2]. وكذلك هو العدل في قلوب العباد.

الثاني: الإشارة إلىٰ أن العدل من أعظم ما أنزل الله للناس من السماء، ولذلك خُصَّ بالذكر في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد:٢٥]، يقول ابن عاشور في تفسير الآية: «وهذا الميزان -أي

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ٢٤٣).

(٢) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (٩/ ٤٦٣). وانظر: التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٣٧).

العدل- تُبَيِّنه كتب الرسل، فذكره بخصوصه للاهتمام بأمره؛ لأنه وسيلة انتظام أمور البشر»(١).

الثالث: التنبيه إلىٰ أن نظام هذا الكون الذي تعدُّ السماء من أعظم تجلياته قائمٌ علىٰ العدل، ولولا ذلك لاختلَّ واعتَلَّ، ولذلك قيل: «بالعدل قامت السماوات والأرض»(٢).

والمقصود من هذا كله حَضُّ المخاطبين بأن يلتزموا هذا الخلق العظيم في سائر شئون حياتهم ولا يحيدوا عنه قيد أنملةٍ؛ فإن في التزامه الخيرَ كلَّه، وفي تركه الشرُّ كلُّه، يقول ابن عاشور ﵀ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧]: «والميزان هنا مرادٌ به العدل، مثل الذي في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد:٢٥]؛ لأنه الذي وضعه الله، أي عيَّنه لإقامة نظام الخلق... وقرن ذلك مع رفع السماء تنويهًا بشأن العدل؛ بأن نُسب إلىٰ العالم العلوي وهو عالم الحق والفضائل، وأنه نزل إلىٰ الأرض من السماء أي هو مما أمر الله به، ولذلك تكرر ذكر العدل مع ذكر خلق السماء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [يونس:٥]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٤١٦).

(٢) هذا الأثر من قول يهود خيبر، كما أخرج ذلك الإمام مالك في الموطأ، كتاب المساقاة، باب ما جاء في المساقاة، برقم (١٣٨١). ولفظه هناك: أن عبد الله بن رواحة ﵁ قال: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَاللهِ إِنَّكُمْ لَمِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللهِ إِلَيَّ، وَمَا ذَاكَ بِحَامِلِي عَلَىٰ أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، فَأَمَّا مَا عَرَضْتُمْ مِنَ الرَّشْوَةِ، فَإِنَّهَا سُحْتٌ –أي: حرامٌ–، وَإِنَّا لَا نَأْكُلُهَا، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ». أي: بهذا العدل.

بِٱلۡحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الدخان:٣٨-٣٩]. وهذا يصدق القول المأثور: «بالعدل قامت السماوات والأرض». وإذ قد كان الأمر بإقامة العدل من أهم ما أوصىٰ الله به إلىٰ رسوله ﷺ؛ قُرن ذكر جَعْلِه بذكر خلق السماء فكأنه قيل ووضع فيها الميزان»[(١)].

الشاهد الثاني: وهو ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد:٢٥] الآية، فقد بينت هذه الآية الكريمة ذات الإشارة الكونية أن من حِكَم الله تعالىٰ من إنزال الحديد للناس حفظَ العدل بينهم، وهذا سرُّ ذكْر إنزاله عقب ذكْر إنزال العدل والأمر به، والمعبَّر عنه في الآية بالميزان والقسط. وفي هذا تنويهٌ بهذا الخلق العظيم؛ حيث جُعل حفظه وإقامته بين الناس شيئًا ضروريًّا ولو باستعمال القوة؛ فـ «لابد مع الحق من قهرٍ لمن عاداه ونَاوَأه»[(٢)]. وقد أشار إلىٰ نحو هذا المعنىٰ ابن عاشور عند تفسير الآية الكريمة فقال ﷺ: «والمقصود من هذا لفت بصائر السامعين إلىٰ الاعتبار بحكمة الله تعالىٰ من خلق الحديد وإلهام صنعه، والتنبيه علىٰ أن ما فيه من نفعٍ وبأسٍ إنما أريد به أن يُوضع بأسه حيث يُستحق ويوضع نفعه حيث يليق به، لا لتجعل منافعه لمن لا يستحقها مثل قُطَّاع الطريق والثُّوَّار علىٰ أهل العدل»، و«لا ليُجعل بأسه لإخضَادِ[(٣)] شوكة العدل وإرغام الآمرين بالمعروف علىٰ السكوت، فإن ذلك تحريفٌ لما أراد الله من وضع الأشياء

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٣٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ١١١).

(٣) أي: لكسر شوكة العدل. انظر: مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (٢/ ١٩٤)، مادة (خ ض د).

النافعة والقارَّة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥]»[1]. والظاهر أن تكرار ابن عاشور لعبارة العدل أثناء كلامه هنا عن منافع الحديد هو إيماءٌ منه إلىٰ أن هذا المعدن خُلق لنصرة الحق والعدل لا لمحاربتهما به ونصرة الظلم، لأن ذلك -كما يقول- تحريفٌ لما أراده الله من إيجاده.

وبهذا يتضح دلالة هذه الآيات الكونية علىٰ قيمةٍ عظيمةٍ من قيم الإسلام وهي قيمة العدل، حيث تضمنت الإشارة إلىٰ رفعته وأنه من أهم ما أُنزل علىٰ الناس من السماء، وأن به قوام نظام الوجود كقوام الحياة بالماء، وأنه من الضروري حفظه وإشاعته بين الناس ولو بالحديد، وذلك قطعًا لضده وهو الظلم أن يشيع بينهم؛ إذ من شأن ذلك أن يؤدي إلىٰ فسادٍ يعم ضرره سائر الكائنات. وهذه المعاني قد حرص ابن عاشورٍ علىٰ الإشارة إليها في مواضعها.

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٤١٧).

المطلب الثاني:
دلالة الآيات الكونية على بعض التشريعات الفقهية

ذهب عددٌ من الأئمة الأجلاء إلىٰ أن مجال استنباط الأحكام الفقهية من القرآن الكريم غير منحصرٍ في عددٍ معينٍ من الآيات؛ بل القرآن بما اشتمل عليه من القصص والأخبار والأمثال وغير ذلك مجالٌ كله للنظر الفقهي، وإنما يختلف الحال باختلاف القرائح والأذهان في قدرتها علىٰ الاستنباط(١). ولعل ما يؤيد هذا التوجه أن عددًا من الآيات الكونية جاءت مشتملةً علىٰ تشريعٍ فقهيٍّ، رغم كونها أخبارًا سيقت في الأصل لإثبات قضيةٍ عقديةٍ مثل الوحدانية والبعث، أي أن هذه الآيات الكونية مع كونها أقرب لأن تكون من آيات العقائد علىٰ أن تكون من آيات الأحكام فقد اشتملت علىٰ حكمٍ فقهيٍّ.

ومن الشواهد علىٰ هذا المعنىٰ من سور المفصل قوله تعالىٰ في سورة المرسلات: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات:٢٥-٢٦]، فهذه الآية الكريمة ذات الإشارة الكونية جاءت في سياق إثبات الألوهية لله تعالىٰ والامتنان علىٰ الناس بخلق الأرض لهم، وفي ذلك توبيخٌ للكفار تركَهم عبادة الله المنعِم وعبادة غيره، مع دلالتها أيضًا علىٰ إمكان البعث(٢)، وهي مع هذا كله أيضًا تحمل دلالاتٍ فقهيةٍ حرص ابن عاشور علىٰ تجليتها فقال: «وفي الآية امتنانٌ بجعل الأرض صالحةً لدفن الأموات، وقد ألهم الله لذلك ابن آدم حين قتل أخاه كما

(١) المقاربة الفقهية للقرآن: مدخل لتأريخ النظر الفقهي، لمعتز الخطيب، (ص: ٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ٤٣٢-٤٣٣).

تقدم ذكره في سورة المائدة، فيؤخذ من الآية وجوب الدفن في الأرض إلا إذا تعذر ذلك؛ كالذي يموت في سفينةٍ بعيدةٍ عن مراسي الأرض أو لا تستطيع الإرساء، أو كان الإرساء يضر بالراكبين أو يخاف تعفن الجثة فإنها يُرمىٰ بها في البحر وتثقل بشيءٍ لترسب إلىٰ غريق الماء. وعليه فلا يجوز إحراق الميت كما يفعل مجوس الهند، وكان يفعله بعض الرومان، ولا وضعه لكواسر الطير كما كان يفعل مجوس الفرس، وكان أهل الجاهلية يتمدحون بالميت الذي تأكله السِّباع أو الضِّباع وهو الذي يموت قتيلًا في فلاةٍ، قال تأبطَّ(١):

لا تَدْفِنوني إنَّ دَفني مُحَرَّمٌ عليكم ولكنْ خَامِري أُمَّ عامرِ(٢)

وهذا من جهالة الجاهلية وكفران النعمة»(٣).

ثم يستطرد رحمه الله أيضًا إلىٰ الحديث عن مسألةٍ فقهيةٍ أخرىٰ ذات صلةٍ بالآية، فيقول: «واحتج ابن القاسم من أصحاب مالكٍ بهذه الآية لكون القبر حِرزًا؛ فأوجب القطع علىٰ من سرق من القبر كفنًا، أو ما يبلغ ربع دينارٍ، وقال مالكٌ: القبر حِوَز للميت كما أن البيت حِوَزُ الحيِّ. وفي «مفاتيح الغيب» عن تفسير القفَّال: أن ربيعة استدل بها علىٰ ذلك»(٤).

(١) تَأَبَّط شرًا: لقب لأحد شعراء الجاهلية، وهو ثابت بن جابر الفهمي، توفي نحو ٨٠ ق هـ. الأعلام، للزركلي (٢/ ٩٧).

(٢) قوله «خامري أم عامرٍ»: هي الضَّبع. والمعنىٰ: إذا قتلتموني فلا تدفنوني ولكن ألقوني إلىٰ التي يقال لها: خامري أمّ عامرٍ، وهي الضَّبع. العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي (١/ ٩٣).

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/ ٤٣٣). وسيعيد ابن عاشور التنبيه علىٰ هذا الكلام الفقهي أيضًا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١] انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ١٢٥).

(٤) التحرير والتنوير (٢٩/ ٤٣٤).

والذي يتضح من خلال هذه الشواهد أن الآيات الكونية هي مجالٌ أيضًا لاستنباط بعض الأحكام الفقهية، رغم كونها مسوقةً في الأصل للدلالة على المعاني العقدية الكبرى التي تحدثنا عنها في المبحث السابق، وقد حرص ابن عاشور على إبراز هذا الجانب منها. ويمكن ملاحظة هذا بشكلٍ أوضح في التفاسير التي اعتنت بالجانب الفقهيِّ بشكلٍ أوسع؛ كتفسير الإمام الجليل أبي عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ) إذ نبَّه هو أيضًا على هذه الدلالات الفقهية التي ذكرها ابن عاشور -رحمهما الله تعالى جميعًا- مع زياداتٍ أخرى[١].

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢١/ ٥٠٥ – ٥٠٦).

المطلب الثالث:

دلالة الآيات الكونية على موضوعات السور

ومما يمكن إلحاقه بهذا المبحث أيضًا ذكر دلالات بعض الآيات الكونية علىٰ موضوعات السور التي جاءت فيها، إذ يلاحظ أن مجموعةً من الآيات الكونية قد وُظِّفت في بعض السور القرآنية بما يناسب موضوعها ومضمونها الأساس. وقد اعتنىٰ ابن عاشور ﷺ بإبراز هذا الجانب والكشف عنه في بعض المواطن نظرًا لعنايته بعلم المناسبة.

١- دلالة الليل والنهار على موضوع سورة الليل:

ومن الأمثلة علىٰ هذا المعنىٰ من سور المفصل ما جاء من القسم بالليل والنهار في مطلع «سورة الليل»؛ حيث ناسب ذلك مضمون السورة الذي هو بيان الفرق بين حال كُلٍّ من المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة، ووجه المناسبة هنا هو مماثلة حال الكفار لظلمة الليل، ومماثلة حال المؤمنين لنور النهار، فالفرق بين حال الفريقين كالفرق بين ظلمة الليل وضوء النهار، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد:١٦]، وفي هذا يقول ابن عاشور ﷺ: «ومناسبة المقسَم به للمقسَم عليه أنَّ سعي الناس منه خيرٌ ومنه شرٌّ، وهما يماثلان النور والظلمة»[(١)]، ويقول أيضًا: «واختير القسم بالليل والنهار لمناسبته للمقام؛ لأن غرض السورة بيان البَون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة»[(٢)].

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٨).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٨).

كما يكشف العلاَّمة ابن عاشور لنا هنا أيضًا السر في تقديم ذكر القسم بالليل علىٰ القسم بالنهار عكس ما جاء في «سورة الشمس» فقال ﷺ: «وابتدئ في هذه السورة بذكر الليل ثم ذكر النهار عكس ما في سورة الشمس لأن هذه السورة نزلت قبل سورة الشمس بمدةٍ، وهي سادسة السور وأيَّامَئِذٍ كان الكفر مخيِّمًا علىٰ الناس إلا نفرًا قليلًا، وكان الإسلام قد أخذ في التجلي فناسب تلك الحالة بالإشارة إلىٰ تمثيلها بحالة الليل حين يعقبه ظهور النهار»(١).

والذي يؤخذ من كلام ابن عاشور أن الليل جُعل مثلًا للدلالة به علىٰ الكفر والمعاصي من جهة ما فيه من الظلمة، كما جُعل النهار مثلًا للدلالة به علىٰ الإيمان والطاعة من جهة ما فيه من الضياء، وهو ما يتأكد من كلامه ﷺ في تفسير قوله تعالىٰ في سورة الشمس: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ [الشمس:١-٣]، حيث قال: «وابتدئ القسم بالشمس وأضوائها الثلاثة الأصلية والمنعكسة لأن الشمس أعظم النيِّرات التي يصل نورٌ شديدٌ منها للأرض، ولما في حالها وحال أضوائها من الإيماء إلىٰ أنها مَثَلٌ لظهور الإيمان بعد الكفر وبثِّ التقوىٰ بعد الفجور، فإن الكفر والمعاصي تُمثَّل بالظلمة، والإيمان والطاعات تُمثَّل بالضياء، قال تعالىٰ: ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [المائدة:١٦]»(٢).

◆ ٢- دلالة الضحى على موضوع سورة الضحى:

ومن النماذج أيضًا علىٰ هذا المعنىٰ في سور المفصل، أعني مناسبة بعض الآيات الكونية لموضوعات السور التي جاءت فيها ودلالتها عليها ما جاء من

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٨).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٦٨).

القَسم بالضحىٰ في مستهل «سورة الضحىٰ»، حيث ناسب القسم بهذا الزمن موضوع السورة التي تتحدث عن تأنيس الله تعالىٰ لنبيه ﷺ وتذكيره بعنايته الدائمة له بعد حالة استيحاشٍ عاشها بسبب انقطاع الوحي عنه مدَّةً من الزمن؛ فكانت عودة هذا التأنيس بتجدد نزول الوحي عليه بمثابة انبثاق ضوء الضحىٰ بعد ظلمة الليل؛ فالضحىٰ كما -يقول الفخر الرازي- «وقت اجتماع الناس وكمال الأُنس بعد الاستيحاش في زمان الليل، فبشَّروه أن بعد استيحاشك بسبب احتباس الوحي يظهر ضحىٰ نزول الوحي»(١)، فتمَّ بذلك توظيف وقت الضحىٰ الذي هو انبثاق ضوء الشمس واشتداده للدلالة علىٰ انبثاق نور الوحي وامتداده بعد ظلمة انقطاعه، وقد أشار إلىٰ قريبٍ من هذا المعنىٰ العلاَّمة ابن عاشور رحمه الله أيضًا حين قال: «ومناسبة القسم بـ (الضحىٰ والليل)؛ أن الضحىٰ وقت انبثاق نور الشمس؛ فهو إيماءٌ إلىٰ تمثيل نزول الوحي وحصول الاهتداء به»(٢). أي: بعد انقطاعه مدَّةً من الزمن.

والملاحظ هنا أيضًا أن هذه السور التي سبق التمثيل بها علىٰ هذا المعنىٰ قد اتُّخذت لها أسماء كائناتٍ وهي: الليل، والشمس، والضحىٰ. والسبب في ذلك -فيما يظهر- هو محورية هذه الأسماء في الدلالة علىٰ ما جاء في سورها من موضوعات ومضامين كما بينَّاه آنفًا، وقد اعتنىٰ بعض الباحثين بإبراز هذا الجانب من دلالة أسماء السور علىٰ محاورها وموضوعاتها في جميع سور القرآن، وقد أتىٰ بحثه نافعًا وفريدًا من نوعه، سماه: «دلالة أسماء السور القرآنية علىٰ محاورها وموضوعاتها»، وهو لصاحبه الدكتور عمر علي حسَّان عرفات.

---

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٣١/ ١٩١).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٤).

المبحث الثالث:

دلالة الآيات الكونية على عظمة القرآن

إن حديث القرآن عن عظمة القرآن بالموضع الذي لا يخفىٰ علىٰ تاليه ومتدبِّره، إذ يجد ذلك مبثوثًا في معظم سوره، بدايةً من سورة البقرة وقوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١-٢]، ثم مرورًا بسورة آل عمران وقوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:١-٣]، وهكذا في معظم السور، حيث تعددت وجوه ومظاهر عظمة القرآن المتحدَّث عنها؛ فمن ذلك -مثلًا- إظهار إعجازه وأنه من عند الله ﷻ، ومن ذلك إظهار شرف النازل به والمنزَّل عليه والوقت الذي فيه نزل، ومن ذلك أيضًا إظهار ما له من بليغ أثرٍ في تزكية النفوس وإصلاح السلوك والعمل، ومن ذلك أيضًا إظهار ما يضفيه علىٰ حملته ومبلغيه من تشريفٍ وفضلٍ، وغير ذلك من أوجه العظمة التي تحدث عنها القرآن، يقول ابن عاشور ﷺ في بيان بعضها في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس:١١-١٦]: «وهذا تنويهٌ بشأن القرآن، لأن التنويه بالآيات الواردة في أول هذه السورة من حيث إنها بعض القرآن، فأثني علىٰ القرآن بفضيلة أثره في التذكير والإرشاد، وبرفعة مكانته، وقُدس مصدره، وكرم قراره، وطهارته، وفضائل حملته ومبلغيه، فإن تلك المدائح

عائدةٌ إلىٰ القرآن بطريق الكناية»[1].

والذي يهمني في هذا المقام هو إبراز دلالة بعض الآيات الكونية علىٰ بعض هذه الأوجه والمعاني المبيِّنة لعظمة القرآن الكريم، حيث اشتملت سور المفصل علىٰ نماذج من ذلك أبينها في المطالب التالية.

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١١٩).

المطلب الأول:
دلالة سقوط النجم على كون القرآن منزلًا من عند الله ﷻ

إن أول النماذج التي تلوح في أفق سور المفصل دالةً علىٰ عظمة القرآن الكريم من خلال الآيات الكونية ما جاء في قوله تعالىٰ في مستهل سورة النجم: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]، وقد تقدم ذكر هذه الآية في المبحث الأول في معرض اشتمالها علىٰ دلالتين عقديتين، وهما: دلالتها علىٰ عظيم قدرة الله تعالىٰ في التدبير والتسيير، ثم دلالتها علىٰ بطلان عقيدة المشركين في النجم؛ إذ كان بعضهم يعبده ويعظمه من دون الله، فأشارت الآية إلىٰ أن من أحوال النجم الأفول والسقوط؛ وذلك يقتضي بطلان ما يعتقدونه فيه من الإلهية والتعظيم. ثم إن هذه الآية تشتمل زيادةً علىٰ ذلك علىٰ دلالةٍ عقديةٍ أخرىٰ ذات صلةٍ بالقرآن، وهي بيانها أن هذا القرآن منزَّلٌ من عند الله ﷻ وليس من اختلاق النبي ﷺ كما زعم المشركون؛ ووجه الدلالة فيها أنها قرَّبت إلىٰ أذهانهم نزولَ الوحي من السماء، أو نزول جبريل -عليه السلام- به بما يشاهدونه من سقوط النجم من أعلىٰ الأفق؛ فكما لا ينكرون هذه الحال لمعاينتهم لها باستمرارٍ؛ فكذلك لا ينبغي لهم إنكار نزول جبريل عليه السلام بالوحي علىٰ النبي ﷺ؛ لوجود نظير هذا في العالم المحسوس، وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ العلاَّمة ابن عاشور عند تفسير الآية فقال: «ومناسبة القَسَم بـ (النجم إذا هوىٰ)، أن الكلام مسوقٌ لإثبات أن القرآن وحيٌ من الله منزَّلٌ من السماء، فشابه حال نزوله الاعتباريِّ حال النجم في حالة هُويِّه مشابهةً تمثيليةً حاصلةً من نزول شيءٍ منيرٍ إنارةً معنويةً نازلٍ من محلِّ رفعةٍ معنويةٍ، شُبِّه بحالة نزول نجمٍ من أعلىٰ الأفق إلىٰ أسفله، وهو من تمثيل المعقول

بالمحسوس، أو الإشارة إلىٰ مشابهة حالة نزول جبريل من السماوات بحالة نزول النجم من أعلىٰ مكانه إلىٰ أسفله»[1].

وبهذا يتضح دلالة هذه الآية الكونية علىٰ عظمة القرآن الكريم من جهة إثبات كونه منزلًا من عند الله ﷻ، ولا شك أن استنباط ابن عاشور لهذا المعنىٰ من الآية الكريمة يبيِّن مدىٰ جودة فهمه وحسن تدبُّره للقرآن.

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٩١-٩٢).

المطلب الثاني: دلالة مواقع النجوم على شرف القرآن، وعلوه، وطهارته، وكونه منزلًا من عند الله تعالى:

من نماذج سور المفصل أيضًا التي اشتملت علىٰ دلالة الآيات الكونية علىٰ عظمة القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالىٰ في سورة الواقعة: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٠]، فهذه الآية (٧٥) تضمنت قسمًا بمواقع النجوم، بمعنىٰ: بروجها ومنازلها[١]، وقد صيغ القسم بها علىٰ أسلوب النفي مبالغةً في تعظيم شأنها والتنويه بها؛ «فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إنَّ إعظامي له -أي للمقسَم به- بإقسامي به كلا إعظام، يعني أنه يستأهل فوق ذلك»[٢]. ولذلك قال الله تعالىٰ عقبه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾. والحقيقة هنا أن هذا التعظيم لا يقتصر علىٰ المقسم به فحسب؛ بل يشمل المقسم عليه أيضًا كما يشعر بذلك هذا الانتقال البديع من المقسم به إلىٰ المقسم عليه في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ [الواقعة:٧٦-٧٧]، وقد دلت علىٰ هذا المعنىٰ عبارة الحافظ ابن كثيرٍ (ت ٧٧٥هـ) في تفسير الآية (٧٦) حيث قال: «وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾، أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسمٌ عظيمٌ، لو تعلمون عظمته لعظَّمتم المقسم به عليه»[٣]. فالغرض -إذن- من تعظيم شأن المقسم به لفت النظر إلىٰ عظمة المقسم عليه أيضًا وهو القرآن الكريم، فكأن المعنىٰ: إذا كان هذا المقسم به منطويًا علىٰ عجائبَ

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٣١).

(٢) الكشاف، للزمخشري (٤/ ٦٥٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (٧/ ٥٤٤).

في الخلق وأسرارٍ في التكوين تجعل القسم به غير موفيه حقَّه، فكذلك هذا القرآن لما انطوىٰ عليه من الأسرار الربانية والعجائب التي لا تنقضي.

وبهذا نلاحظ كيف وُظِّفت آيةٌ كونيةٌ هي «مواقع النجوم» في تقرير عظمة القرآن الكريم من خلال أسلوب القسم، وهذا التعظيم يشمل جميع ما جاء في حق القرآن من أوصافٍ في هذا الموضع من:

- قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٧].
- وقوله تعالىٰ: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة:٧٨].
- وقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩].
- وقوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٨٠].

ففي كل واحدٍ منها مظهرٌ من مظاهر عظمة هذا الكتاب الذي لا يحيط به وصفٌ.

ولابد أن أشير هنا إلىٰ أن العلاَّمة ابن عاشور لم يأتِ عند تفسير هذه الآية بما يدل علىٰ هذا المعنىٰ الذي تحدثت عنه، أعني دلالة هذه الآية الكونية «مواقع النجوم» علىٰ عظمة القرآن الكريم، سوىٰ ما ذكره في مستهلِّ تفسيرها من أن القصد منها هو التنويه بالقرآن باعتباره المخبِر عن وقوع البعث الذي أنكره الكفار، وقد قامت الحجة علىٰ صدق خبره بما تقدم في السورة من الدلائل علىٰ ذلك، فتهيأ المقام حينئذٍ للتنويه بشأنه، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ الآيات[1]. ورغم هذا آثرتُ ذكر هذا النموذج هنا نظرًا لوروده في سور المفصل ولما انطوىٰ عليه من المعاني الجليلة.

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٢٩).

المطلب الثالث:
دلالة الجبال على قوة تأثير القرآن، وكونه قد بلغ الغاية في الوعظ والإنذار

تُعد الجبال من أعظم الموجودات التي تم توظيفها في القرآن الكريم من أجل الدلالة بها على كثيرٍ من المعاني الجليلة التي أريد تبليغها للناس، وذلك مثل الدلالة بها على عظمة الخالق سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ﴾ [الغاشية:١٧-١٩]، أو الدلالة بها على إنعامه سبحانه على عباده، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ [النحل:٨١]، أو الدلالة بها على ثبوت يوم القيامة وبيان هوله وعِظَمه، كما في قوله: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا﴾ [طه:١٠٥-١٠٧]، و نحو ذلك من المعاني والدلالات العديدة التي وظفت لها الجبال.

والذي يهمني في هذا المقام هو بيان دلالة الجبال على عظمة القرآن الكريم، إذ ذلك أيضًا مما دلت عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الرعد:٣١] الآية، أي: «ولو أن قرآنًا سُيِّرت به الجبال عن مقارِّها، وزعزعت عن مضاجعها .. لكان هذا القرآن لكونه غايةً في التذكير ونهايةً في الإنذار والتخويف»(١). وهذا المعنى قد ورد له شاهدٌ في سور المفصل وهو قوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ

(١) الكشاف، للزمخشري (٢/ ٥٢٩).

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١]، فقد تضمنت هذه الآية الكريمة دلالةً للجبال علىٰ عظمة القرآن الكريم من خلال ذكر ما يقع لها من تشققٍ وتصدُّعٍ جراء تأثُّرها بمواعظ القرآن وحِكَمه ومعانيه؛ وفي ذلك بيانٌ لشدة تأثير هذا القرآن في الأشياء العظيمة، فالمعنىٰ -كما يقول ابن عاشور-: «لو كان المخاطب بالقرآن جبلًا، وكان الجبل يفهم الخطاب؛ لتأثر بخطاب القرآن تأثرًا ناشئًا من خشيةٍ لله خشيةً تؤثرها فيه معاني القرآن»[(١)]. وقد أوثر الجبل هنا ليكون مضرب مثلٍ علىٰ قوة تأثير القرآن بسبب ما يُعرَف به من الصلابة والشدة، فالجبل - كما يقول ابن عاشور أيضًا-:«مثالٌ لأشد الأشياء صلابةً وقلة تأثرٍ بما يقرعه»[(٢)].

والذي نخلص إليه أن القصد من هذا التمثيل والتصوير هو بيان أن هذا القرآن قد بلغ الغاية في الإرشاد والتحذير، بحيث أن مواعظه وحِكَمه قادرةٌ علىٰ التأثير فيما هو غايةٌ في القوة والصلابة وهو الجبل. وفي ذلك أيضًا توبيخٌ للإنسان وبيانٌ لدناءته وقسوة قلبه إذ لا يتأثر بهذا القرآن رغم بلاغة مواعظه[(٣)].

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١١٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١١٦).

(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١١٦).

المطلب الرابع:
دلالة الغيث على مدى قوة تأثير القرآن في القلوب وقدرته على إحيائها وإصلاحها

يعد إنزال الماء من السماء أحد أكثر الظواهر الكونية ذِكرًا في القرآن الكريم؛ نظرًا لتعدد الأغراض والدلالات التي سيقت هذه الظاهرة الكونية لأجلها. وقد استعمل القرآن الكريم ألفاظًا عديدةً للتعبير بها عن تلك الدلالات حسب ما يقتضيه كل مقامٍ، وذلك كالتعبير عنها بتعبيراتٍ حقيقيةٍ، مثل: التعبير بالمطر، والغيث، والصَّيب، والوابل، والطَّلِّ، والوَدْقِ، والحُسبان. أو التعبير عنها بتعبيراتٍ مجازيةٍ، مثل: السَّماء، والرزق، والرحمة، والرَّجْع[(١)].

والذي يهمني هنا أيضًا هو بيان دلالة هذه الظاهرة الكونية علىٰ عظمة القرآن الكريم، إذ ذلك مما دلت عليه، وذُكرت في القرآن لأجله، وقد آثرتُ تسمية ما دلَّ منها علىٰ هذا المعنىٰ بالغيث -من بين التعبيرات الأخرىٰ التي ذكرتها آنفًا-؛ لاقتران هذا التعبير في الاستعمال القرآني بالرحمة والخير[(٢)]؛ وهو ما يناسب المقصد الذي من أجله أنزل القرآن، ولقوله ﷺ أيضًا: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ ...» الحديث[(٣)].

هذا، وقد اشتملت سور المفصل علىٰ شاهدين لهذا المعنىٰ الذي نتحدث

(١) انظر: الألفاظ المعبرة عن المطر في القرآن الكريم: دراسةٌ دلاليةٌ، لحسين محيسن ختلان البكري.

(٢) المطر والغيث في القرآن والحديث: دراسة بلاغية أسلوبية، لخليل محمد أيوب، (ص: ١١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من عِلِم وعلَّم، برقم (٧٩).

عنه نبَّه إليهما العلامة ابن عاشور في تفسيره:

أولهما- قوله تعالىٰ في سورة الحديد: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد:١٦-١٧]، فقد تضمنت الآية (١٧) تمثيلًا لحالة احتياج القلوب القاسية إلىٰ ذكر الله والقرآن الكريم؛ من أجل أن تخشع وتلين لطاعته ﷻ، بحالة احتياج الأرض الميتة القاحلة إلىٰ الغيث من أجل أن تحيىٰ وتُنبِت، ومعنىٰ ذلك أن فعل الذكر والقرآن المشار إليهما في الآية (١٦) وتأثيرهما في القلوب القاسية كفعل الغيث وتأثيره في الأرض الميتة. وفي هذا يقول ابن عاشور رحمه الله مفسرًا الآية (١٧): «افتتاح الكلام بـ «اعلموا» ونحوه يؤذن بأن ما سيلقىٰ جديرٌ بتوجه الذهن بشَراشِره إليه(١) .. وهو هنا يشير إلىٰ أن الكلام الذي بُعده مغزًىٰ عظيمٌ غيرُ ظاهرٍ، وذلك أنه أريد به تمثيل حال احتياج القلوب المؤمنة إلىٰ ذكر الله بحال الأرض الميتة في الحاجة إلىٰ المطر، وحال الذكر في تزكية النفوس واستنارتها بحال الغيث في إحياء الأرض الجدبة.

ودلَّ علىٰ ذلك قوله بعده: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وإلا فإن إحياء الله الأرض بعد موتها بما يصيبها من المطر لا خفاء فيها، فلا يقتضي أن يفتتح الإخبار عنه بمثل اعلموا إلا لأن فيه دلالةً غير مألوفةٍ وهي دلالة التمثيل.. فالجملة بمنزلة التعليل لجملة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلى

(١) الشَّراشر: الأثقالُ، الواحدة شُرْشُرَةٌ. يقال: ألقىٰ عليه شَراشِرَهُ، أي نَفْسَه، حرصًا ومحبَّة. الصحاح، للجوهري (٢/ ٦٩٦)، مادة: (شرر).

قوله: ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد:١٦]، لما تتضمنه تلك من التحريض علىٰ الخشوع لذكر الله، ولكن هذه بمنزلة العلة فُصِلت ولم تُعطف، وهذا يقتضي أن تكون مما نزل مع قوله تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد:١٦] الآية»[(١)]، ثم يقول ﷺ: «وقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ استعارةٌ تمثيليةٌ[(٢)] مصرَّحةٌ ويتضمن تمثيليةً مَكْنيةً بسبب تضمُّنه تشبيهَ حال ذكر الله والقرآن في إصلاح القلوب بحال المطر في إصلاحه الأرض بعد جدبها[(٣)].

ومن خلال كلام ابن عاشور يتضح لنا دلالة هذه الظاهرة الكونية، وهي نزول الماء من السماء علىٰ عظمة القرآن الكريم، حيث تم تشبيه ما للقرآن من تأثيرٍ بليغٍ في إصلاح القلوب والنفوس وما له من قدرةٍ عجيبةٍ علىٰ إحيائها وتليينها بقدرة الغيث علىٰ إحياء الأرض القاحلة الجدبة وجعلها أرضًا مثمرةً نافعةً.

الشاهد الثاني: وأما الشاهد الآخر علىٰ هذا المعنىٰ فهو قوله تعالىٰ في سورة الطارق: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق:١١-١٤]، فقد تضمنت هذه الآيات مناسبةً بين المقسَم به وهو الغيث النازل من السماء «الرَّجع»، وما يترتب علىٰ نزوله أيضًا من خروجٍ للنبات

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٩٣).

(٢) الاستعارة التمثيلية: هي ما يكون كلٌّ من الطرفين فيها هيئةً منتزعةً من متعددٍ، والعلاقة بينهما المشابهة؛ كقولهم في المتردد في أمره المتحير: «أراك تقدم رجلًا، وتؤخر أخرىٰ»، وحقيقة الكلام هنا: أراك متحيرًا في أمرك، مترددًا؛ شبهت حالة المتردد في الرأي بحال المتردد في المشي، واستعير المركَّب الدال علىٰ التردد في المشي للدلالة علىٰ معنىٰ التردد في الرأي علىٰ سبيل الاستعارة التمثيلية. انظر: موجز البلاغة، للإمام ابن عاشور (ص: ٣٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٩٤).

من الأرض وهو «الصَّدْع»، وبين المقسَم عليه وهو القرآن الكريم؛ حيث يُشابه نزول القرآن نزول الغيث من السماء إذ هو كالغيث للناس، كما يشابه ما يُحْدِثه من أثرٍ في قلوبهم ونفوسهم ما يحدِثُه الغيث في الأرض من إزهارٍ وإثمارٍ. وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ المذكور ابن عاشور بعبارةٍ أوجز فقال ﷺ في تفسير هذه الآيات: «وذُكر من أحوال السماء -أي في القسم- ما له مناسبةٌ بالمقسَم عليه، وهو الغيث الذي به صلاح الناس، فإن إصلاح القرآن للناس كإصلاح المطر. وفي الحديث: «مَثَل مَا بَعَثَني الله بِهِ مِنَ الهُدَىٰ والعِلْمِ كَمَثَل الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا». الحديث»[(١)]. وبهذا يتضح دلالة هذه الظاهرة الكونية علىٰ عظمة القرآن من خلال أسلوب القسم الذي رُوعي فيه ما بين الطرفين من تماثلٍ، من جهة ما يحدثه كل واحدٍ منهما من أثرٍ نافعٍ في المحل الذي ينزل عليه.

بل الذي يتضح لي من خلال هذين النموذجين المذكورين أن إيثار هذه الظاهرة الكونية لتكون دالةً علىٰ عظمة القرآن الكريم راجعٌ إلىٰ وجود تقاربٍ بين الغيث والقرآن من عدة وجوهٍ، وليس من وجهٍ واحدٍ فحسب، وهذه الوجوه هي كالتالي:

١ - **اتحاد جهة نزولهما**: أي أن كلًّا من الغيث والقرآن نازلٌ من السماء؛ ومنه كان في تمثيل القرآن بالغيث تحصيلُ فائدةٍ أخرىٰ، وهي: لفت نظر الكفار إلىٰ أن القرآن منزَّلٌ من عند الله وليس بكلامٍ مختلقٍ من عند رسول الله ﷺ كما ادَّعوه، ونظير هذا المعنىٰ ما تقدم في المطلب الأول في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]، حيث بيَّنتُ هنالك -من خلال كلام ابن عاشور- أن وجه إيثار القسم

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٦٦).

بالنجم على هذه الحال، وهي سقوطه من علوٍّ هو تقريب معنى نزول القرآن إلى أذهان المنكرين لذلك لئلا يستحيلوه.

٢- **سرعة تأثيرهما في المحل**: أي أن أثر كلٍّ من الغيث والقرآن سريع الظهور في المحل الذي يتمكنان منه؛ فالأرض القاحلة سرعان ما تخضَرُّ وتُزهر إذا نزل عليها الغيث بقدرٍ كافٍ، وهو أمرٌ ثابتٌ بالمشاهدة، ويشهد له أيضًا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج:٦٣]، قال ابن عطية (ت ٥٤١هـ): «وقوله: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ﴾ بمنزلة قوله: فتُضحِي، أو فتصير، عبارةً عن استعجالها إثر نزول الماء»[(١)]. وكذلك القلوب والنفوس سرعان ما يظهر عليها تأثير القرآن إذا أحسنت استقباله، كما يشير إلى ذلك ويشعر به قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

٣- **حصول النفع بهما**: أي أن كلًّا من الغيث والقرآن ذو أثرٍ نافعٍ في محله؛ فلا يترتب على نزول الغيث إلا ما فيه نفع للناس ودوابهم، ولذلك اقترن بالرحمة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨]. وكذلك القرآن لا يترتب على اتباع هَديه إلا ما فيه نفعٌ للناس عامةً، ولمتبعيه خاصةً، ولذلك أيضًا اقترن بالرحمة، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل:٧٧]، وغير ذلك من الآيات.

٤- **تضرُّر المحل بانقطاعهما عنه**: ومعنى هذا أن الغيث والقرآن كلٌّ منهما

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (٤/ ١٣١).

ضروريٌّ في استمرار الحياة؛ فالأرض المزهرة الخضراء إذا انقطع عنها الغيث تحولت إلىٰ أرض قاحلةٍ جدباءَ، وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد:٢٠]، فبينت الآية أن الأرض بالغيث تكون في حالٍ من الاخضرار والإزهار تُعجب الزراع وتسرُّ الأنظار، ثم تتحول بعد مدَّةٍ من انقطاعه عنها إلىٰ حالٍ أخرىٰ من الاصفرار ثم الاندثار. وهكذا حال القلوب أيضًا مع القرآن؛ فهي به في غايةٍ من الصلاح واللِّين، فإذا انقطعت عنه مدَّةً من الزمن تحولت إلىٰ حالٍ أخرىٰ من القسوة والخمول في الدين، وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار قوله تعالىٰ محذِّرًا المؤمنين: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦].

فهذه بعض أوجه التقارب والمشابهة بين نزول الغيث ونزول القرآن، يتبين بها سبب إيثار هذه الظاهرة لتكون مضرب مثلٍ علىٰ عظمة القرآن الكريم من جهة نفعه وقوة تأثيره، ولعل هناك غيرها من أوجه التقارب تتضح لمن زاد إمعان النظر والتدبُّر في هذه المسألة.

الخَاتِمَةُ

يمكن لي في ختام هذا البحث الذي خصصته لدراسة الدلالات والمعاني المختلفة التي ارتبطت بذكر الآيات الكونية في المفصل من القرآن الكريم؛ استنادًا علىٰ ما قاله ابن عاشور ﵀ في تفسيرها، أن ألخِّص أهم النتائج التي توصلتُ إليها فيما يلي:

١- فيما يتعلق بدلالات الآيات الكونية:

- تعدُّد دلالات الآيات الكونية بحيث اشتملت علىٰ ما هو عقديٌّ وأخلاقيٌّ وتشريعيٌّ وغير ذلك أيضًا. مما يعني أنها أوسع من أن تُحصر دراستها في التفسير العلمي أو الإعجاز العلمي.

- أن أكثر الدلالات ارتباطًا بالآيات الكونية هي الدلالات العقدية، وفي مقدمتها الدلالات المبَيِّنة لعظمة الله تعالىٰ ووحدانيته، وكذا المبَيِّنة لوقوع البعث، ثم المبَيِّنة لمنَّة الله علىٰ خلقه.

- قيمة الآيات الكونية في إبراز عظمة القرآن الكريم من عدة أوجهٍ؛ ككونه منزلًا من عند الله تعالىٰ، وكونه كريمًا مجيدًا طاهرًا، وكونه بلغ الغاية في التأثير والإرشاد، وغير ذلك من الوجوه.

- تنوع الآيات الكونية الموظفة في الدلالة علىٰ المعاني المذكورة، مع دقة القرآن في استعمالها وتوظيفها، بحيث تفيد تلك الدلالات والمعاني المرادةِ إفادةً قويةً ومناسبةً، كما رأيناه في دلالتها علىٰ البعث من خلال المماثلة والمشابهة، أو

كما رأيناه في دلالتها علىٰ موضوعات السور، أو كما رأيناه في دلالتها علىٰ عظمة القرآن، وخاصةً من خلال نموذج الغيث، وهذا مما يثبت إعجازه البياني.

◆ ٢ - فيما يتعلق بالعلاَّمة ابن عاشور وتفسيره:

- رزانة ابن عاشور في تفسير الآيات الكونية؛ بحيث أنه لم ينجرَّ وراء تكلف التفسير العلمي لها وإغفال الدلالات والمعاني الأساسية التي سيقت في القرآن لأجلها، وهي الدلالات والمعاني التي ذكرتها في هذا البحث.

- مراعاة ابن عاشور للمقاصد الأصلية للقرآن الكريم التي تحدث عنها في مقدمة تفسيره، والتي جعل علىٰ رأسها المقصد العقدي ثم الأخلاقي ثم التشريعي، إذ لم يغفل الإشارة إلىٰ ما يدل علىٰ هذه المقاصد عند تفسيره للآيات الكونية، ولا سيما المقصد العقدي الذي هو أساس كل إصلاحٍ.

- مدىٰ تمكن العلامة ابن عاشور ﷺ من البلاغة وفنونها وقدرته الكبيرة علىٰ استنباط الدلالات والمعاني من الآيات الكونية اعتمادًا علىٰ ذلك. وهو ما يعني أيضًا أهمية هذا العلم في تفسير القرآن الكريم والكشف عن أسراره ودرره.

- الاهتمام الكبير الذي أولاه ابن عاشور في تفسيره لعلم المناسبة بين الآيات، ومدىٰ أهمية هذا العلم أيضًا في استنباط الدلالات والمعاني الكامنة وراء الآيات القرآنية عمومًا، والكونية منها خصوصًا.

◆ ٣ - فيما يتعلق بسور المفصل:

- غِنَىٰ سور المفصل بالآيات الكونية وما تحمله من دلالاتٍ ومعاني قيمةٍ.

- قيمة سور المفصل ضمن سور القرآن؛ إذ تكتنز من الدلالات والمعاني

ما قد يكون مبثوثًا في باقي السور، ولعل هذا من أسرار قوله ﷺ: «وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ»[1]، ويؤيده قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَابًا، وَإِنَّ لُبَابَ الْقُرْآنِ الْمُفَصَّلُ»[2]، ولُبَابُ الشيء: خالصه وجوهره.

التوصيات:

أما فيما يتعلق بأهم التوصيات التي يمكن تسجيلها في نهاية هذا البحث، فهي كالتالي:

- توسيع دائرة البحث لتشمل جميع القرآن بدل سور المفصل فقط، وذلك بقصد الكشف عن مزيدٍ من المعاني والدلالات المرتبطة بالآيات الكونية.

- توسيع دائرة التفاسير المبحوث فيها لتشمل غير «التحرير والتنوير»، وذلك أيضًا بقصد الكشف عن مزيدٍ من المعاني والدلالات المرتبطة بالآيات الكونية، وخاصةً في التفاسير البلاغية، وتلك التي عنيت بعلم المناسبة بين الآيات.

- اختيار كائنٍ من الكائنات وتوسيع البحث في آياته القرآنية؛ بقصد الوقوف علىٰ ما اشتملت عليه آياته من الدلالات والمعاني علىٰ وجه الخصوص، كاختيار الجبال أو الغيث أو الليل ونحو ذلك.

هذا، ونسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا الإخلاص والسداد في القول والعمل، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا ويزيدنا علمًا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قوة لنا إلا به، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

---

(١) سبق تخريجه في المقدمة.

(٢) سبق تخريجه في المقدمة أيضًا.

ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

كتب الحديث وشروحها (ترتيب ألفبائي):

٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري). البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. ط:١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ج ١-٤: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج ٥: ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ج ٦: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٤- سنن الدَّارِمي. الدَّارِمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. ط١، المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

٥- صحيح الجامع الصغير وزياداته. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. د.ط، المكتب الإسلامي، د.ت.

٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن عليٍّ بن حجر. د.ط، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٧- المسند. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن حنبل. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٨- الموطأ. المدني، أبوعبد الله مالك بن أنسٍ. تحقيق: محمود بن الجميل. ط١، القاهرة: مكتبة الصفا، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

◆ **علوم القرآن وتفسيره (ترتيب ألفبائي):**

٩- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. الشيخ محمد أبو شهبة. ط٤، القاهرة: مكتبة السنة، ١٤٠٨هـ.

١٠- الألفاظ المعبرة عن المطر في القرآن الكريم: دراسة دلالية. البكري، حسين محسين ختلان. مجلة كلية التربية للبنات، المجلد ٢٢، العدد ١، د.ت.

١١- البحر المحيط في التفسير. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. تحقيق: صدقي محمد جميل. د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

١٢- البرهان في علوم القرآن. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

١٣- تحرير **المعنىٰ** السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير القرآن المجيد، المعروف بـ«التحرير والتنوير». محمد الطاهر بن عاشور. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٧٤م.

١٤- التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق. هند شلبي. د.ط، د.ن، ١٤٠٦هـ - ١٩٧٥م.

١٥- تفسير الماتريدي أو تأويلات أهل السنة. الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد. تحقيق: مجدي باسلوم. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٦- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

١٧- تفسير القرآن العظيم. الدمشقي، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثيرٍ. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. ط٢، الرياض: دار طيبة للنشر، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٨- تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين (تفسير ابن أبي حاتم الرازي). ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد. تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط٣، المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، ١٤١٩هـ.

١٩- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُّنَّة وآي الفرقان. القرطبي، أبو عبد الله أحمد بن محمد. تحقيق: عبد الله المحسن التركي. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٠- دراسات في علوم القرآن. محمد بكر إسماعيل. ط٢، القاهرة: دار المنار، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢١- الدلالات العقدية للآيات الكونية. عبد المجيد بن محمد الوعلان. ط١، الرياض: دار الركائز، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢٢- علوم القرآن الكريم. الشيخ نور الدين عتر. ط١، دمشق: مطبعة الصباح، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن عطية. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٢٤- مدخل إلىٰ دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. زغلول النجار. ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٥- المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم. الشيخ محمد أبو شهبة. ط٢، القاهرة: مكتبة السنة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٦- المطر والغيث في القرآن والحديث: دراسةٌ بلاغيةٌ أسلوبيةٌ. خليل محمد أيوب. نشر شبكة الألوكة الإلكترونية. https://www.alukah.net/sharia/0/79005/ (تاريخ النشر: ٢٦/ ١١/ ٢٠١٤ ميلادي - ٤/ ٢/ ١٤٣٦ هجري).

٢٧- المقاربة الفقهية للقرآن: مدخل لتأريخ النظر الفقهي. معتز الخطيب. د.ط، د.ن، د.ت.

٢٨- منهج القرآن في إثبات عقيدة البعث بعد الموت. منظور بن محمد رمضان. د.ط، د.ن، د.ت.

٢٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الزمخشري). الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

◆ **كتب المعاجم والتراجم (ترتيب ألفبائي):**

٣٠- الأعلام. الزركلي، خير الدين بن محمودٍ. ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

٣١- تاج العروس من جواهر القاموس. المرتضىٰ الزَّبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد. تحقيق: مجموعة من المحققين د.ط، دار الهداية، د.ت.

٣٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٣- لسان العرب. الأنصاري، أبو الفضل محمد بن مكرمٍ بن منظورٍ. ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٣٤- مختار الصحاح. الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط٥، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٥- مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار. القاضي عياض بن موسىٰ. د.ط، تونس: المكتبة العتيقة، القاهرة: دار التراث، ١٩٧٨م.

٣٦- مقاييس اللغة. الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. د.ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

◆ **مراجع أخرى (ترتيب ألفبائي):**

٣٧- العقد الفريد. ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ.

٣٨- موجز البلاغة. محمد الطاهر بن عاشور. ط١، تونس: المطبعة التونسية، د.ت.

References and Sources

1. The Holy Quran

· ***Books of Hadith and Explanations (Alphabetical Order)***

2. Al-Jamei Al-Sahih Al-Mokhtasar min Umor Al-Mostafa wa Sunanih wa Ayamih (Sahih Al-Bukhari). Al-Bukhari, Abo Abdellah Mohammed ibn Ismail (Died: 251 AH), investigated by: Mohammed Zuhair bin Nasser Al-Nasser, Dar Tawq Al-Najat, 1st Edition: 1422 AH.
3. Series of True Hadiths and Some of their Jurisprudence and Benefits, Al-Albani, Abo Abdurrahman Mohammed Nasser Al-Din (Died: 1420 AH), Al-Maerif Bookshop for Distribution, Riyadh, 1st Edition, Volume I-IV: 1415 AH – 1995 AD, Volume V:1416 AH - 1996 AD, Volume VI: 1422 AH – 2002 AD.
4. Sunan Al-Daremi, Abu Muhammad Abdullah bin Abd al-Rahman (died: 255 AH), investigated by: Hussein Salim Asad al-Darani, Dar Al-Mughni for Publishing and Distribution - Saudi Arabia, 1st Edition: 1412 AH - 2000 AD.
5. Sahih Al-Jami Al-Saghir wa ziadatoh. Al-Albani, Abu Abd al-Rahman Muhammad Nasir al-Din (died. 1420 AH), Dar Al-Nashr: The Islamic Office, N.D.
6. Fath Al-Bari, Sharh Sahih Al-Bukhari. Al-Asqalani, Abu Al-Fadl Ahmed bin Ali bin Hajar (died: 852 AH), Dar al-Maarifa - Beirut, Edition: 1379 AH.
7. Al-Musnad. Al-Shaibani, Abu Abdullah Ahmad bin Hanbal (died 241 AH), investigated by: Ahmed Muhammad Shaker, Dar al-Hadith - Cairo, 1st Edition: 1416 AH - 1995 AD.
8. Al-Muwatta. Al-Madani, Abu Abdullah Malik bin Anas (died 179 AH), investigated by: Mahmoud bin Al-Jamil, Al-Safa Library - Cairo, 1st Edition: 1422 AH - 2001 AD.

• Sciences of the Holy Quran and Interpretation

9. The Israeli Narrations and Topics in the books of Interpretation, Sheikh Muhammad Abu Shahba (died 1403 AH), Maktabat Al- Sunnah - Cairo, 4th edition: 1408 AH.
10. Words Expressing Rain in the Holy Qur'an: A Semantic Study. Al-Bakri, Hussein Mohsen Khatlan, Journal of the College of Education for Girls, Volume 22, Issue 1.
11. Al-Bahr Al-Mheet fir Al-Tafseer. Andalusi, Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf (died 745 AH), investigated by: Sedqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr - Beirut, Edition: 1420 AH.
12. Al-Borhan fi Ulum Al-Qur'an. Al-Zarkashi, Abu Abdullah Badr al-Din (died. 794 AH), investigated by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Maarifa - Beirut, 1st edition: 1376 AH - 1957 AD.
13. Editing the True Meaning and Enlightening Minds by the Interpretation of the Holy Quran, known as "Al-Tahreer wa Al-Tanweer". Muhammad Al-Taher bin Ashour (died 1393 AH), Tunisian Publishing House - Tunisia, Edition: 1974 AH.
14. Scientific Interpretation of the Holy Qur'an between Theories and Practice. Hind Shalaby (died 1442 AH - 2021 AD), Edition: 1406 AH - 1975 AD.
15. Tafsir Al-Maturidi or "The Interpretations of Ahl al-Sunnah". Al-Matridi, Abu Mansour Muhammad bin Muhammad (died. 333 AH), investigated by: Majdi Basloum, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, 1st edition: 1426 AH - 2005 AD.
16. Al-Tafseer Al-Kabeer or «Mafatih Al-Ghaib». Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad bin Omar (d. 606 AH), Dar Ihiya Al-turath - Beirut, 3rd edition: 1420 AH.
17. Tafseer Al-Qur'an Al-Azeem. Al-Dimashqi, Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer (died 774 AH), investigated by: Sami bin Muhammad Al-Salama, Dar Taiba Publishing - Riyadh, 2nd Edition: 1420 AH - 1999 AD.
18. Interpretation of the Great Qur'an Based on the Prophet's hadiths, Sayings of the Companions and the Followers (Tafseer Ibn Abi Hatim al-Razi). Al-Razi, Abu Muhammad Abdul Rahman bin Muhammad, known as "Ibn Abi Hatim

Al-Razi" (died 327 AH), investigated by: Asaad Muhammad al-Tayyib, Nizar Mustafa Al-Baz Bookstore - Saudi Arabia, 3rd Edition: 1419 AH.

19. Aljamei li Ahkam Al-Quran, Alqurtobi, Abu Abdullah Ahmad bin Muhamma, (Died: 671 Ah), Investigated by: Abdullah Al-Mohsen Al-Turki, Al-Resala Foundation - Beirut, 1st edition: 1427 AH - 2006 AD.

20. Studies in the Sciences of the Holy Qur'an, Muhammad Bakr Ismail, Dar Al-Manar - Cairo, 2nd Edition: 1419 AH 1999 AD.

21. Ideological Significances of the Cosmic Verses, Abdul Majeed bin Muhammad Al-Wayla, Dar Al-Rakaiz - Riyadh, 1st Edition: 1440 AH - 2019 AD.

22. The Sciences of the Holy Qur'an, Sheikh Nur al-Din Atr (died 1442 AH - 2020 AD), Al-Sabah Press - Damascus, 1st Edition: 1414 AH - 1993 AD.

23. Al-Mohariru al-Wajeez fi Tafseer Al-Kitab el-Azeez. Al. Andalusi, Abu Muhammad Abd al-Haq ibn Attia (died 541 AH), investigated: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, 1st Edition: 1422 AH.

24. An Introductory to the Study of Scientific Miracles in the Holy Qur'an and the Prophet's Sunnah, Zaghloul Al-Najjar, Dar Al-Maarifa - Beirut, 1st Edition: 1430 AH - 2009AD.

25. The Introductory to Studying the Sciences of the Holy Quran, Sheikh Mohammed Abo Shahbah (Died 1403 AH) Maktabat Al-Sunnah- Cairo, 2nd Edition: 1423 AH – 2003 AD.

26. Al-Matar and Al-Ghaith «Rain» in the Qur'an and Hadith: A Rhetorical and Stylistic Study, Khalil Muhammad Ayoub, published by Al-Alukah Electronic Network. https://www.alukah.net/sharia/0/79005/ (published on: 26/11/2014 AD - 4/2/1436 AH).

27. The Jurisprudential Approach to the Qur'an: An Introduction to Writing the History of Jurisprudence Consideration, Moataz Al-Khatib. .D. No Edition..

28. The Qur'an's Approach to Proving the Ideology of Resurrection after Death, Bin Muhammad Ramadan's Perspective. N.D. No Edition.

29. Al-Kash'af a'n Haqaiqu at-Tanzil wa Oyoun Al-Aqaweel fi Wojoh Al-Taweil (Tafsir al-Zamakhshari). Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmoud bin Omar (died 538 AH), Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, 3rd Edition: 1407 AH.

· ***Books of Lexicology and Biography***

30. Al-Alam Al-Zarkali, Khair Al-Din bin Mahmoud (died 1396 AH), Edition No.: 15: 2002.

31. Tajul-Arous m'n Jawaher Al-Qamous. Al-Murtada Al-Zubaidi, Abo Al- Faid Mohammed bin Mohammed (Died: 1205 AH), investigated by a group of investigators, Dar Al-Hedaya, No Edition Number.

32. "As'sehah Tajul'lughah wa Sehah Alarabiah". Al-Johari, Abu Nasr Ismail ibn Hammad (died 393 AH), investigated by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalaein, 4th edition, 1407 AH - 1987.

33. Lisan Al-Arab. Al-Ansari, Abo Alfadl, Mohammed Ibn Makram Ibn Manzur (died: 711 AH),: Dar Sader, Beirut, 3rd Edition, (1414 AH).

34. Mukhtar al-Sihah, al-Razi, Abo Abdellah Mohammed ibn Abi Bakr (Died: 666 AH), investigated by: Youssef Sheikh Mohammed, Al-Mataba al-Asriy Beirut: 5th edition, 1420 AH – 1999 AD.

35. Mashariqul Anwar ala Sehah Al-Athar. Alqadi Iyadh bin Mossa (died 544 Ah), Al-Maktabah Al-Atiqah, Tunisia, Dar Al-Turath, Cairo, 1978 AD.

36. Maqaes Al-Lughah. Al-Razi, Abo Al-Hussein Ahmed Ibn Faris. Investigated by: Abdel Salam Haroun. Dar Al-Fikr, edition: 1399 AH – 1979 AD.

· Other references (Alphabetical Order)

37. Al-Eqdulfareed. Ibn Abd Rabboh Al-Andalussi, Abo Omar Shehabu Ddin Ahmed bin Mohammed (died 328 AH), Dar Al-Kotob Al-Elmiyyah- Beirut, 1st Edition: 1404 AH.

38. Mojaz Al-Balaghah, Mohammed Al-Tahir ibn Ashour (died 1393 AH), Tunisian Press – Tunisia, 1st Edition, N.D.

مجلة تدبر

فهرس الموضوعات

المستخلص ١٤٩

المقدمة ١٥٣

تمهيد: ١٦٥

١- تعريف الآيات: ١٦٥

٢- تعريف الكون: ١٦٦

٣- مفهوم الآيات الكونية: ١٦٦

المبحث الأول: الدلالات العقدية في الآيات الكونية ١٦٩

المطلب الأول: دلالة الآيات الكونية على وحدانية الله تعالى........... ١٧١

١- ما جاء منها للدلالة على عظمة الله وقدرته: ١٧١

٢- ما جاء منها دالًّا على بعض صفات الله ﷻ وأسمائه الحسنى: ١٧٣

٣- ما جاء منها متضمنًا بطلان عقائد المشركين في بعض الكائنات: .. ١٧٥

المطلب الثاني: دلالة الآيات الكونية على وقوع البعث ١٨٠

١- ما جاء منها في سياق الاستدلال على البعث بما هو أعظم منه: ... ١٨١

٢- ما جاء منها في سياق الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى: ١٨٣

٣- ما جاء منها في سياق الاستدلال على البعث بالمماثلة والمشابهة: ١٨٥

٤- ما جاء منها في سياق الاستدلال على البعث بالانتقال من شيءٍ إلى شيءٍ: ١٩٢

٥- ما جاء منها في سياق الإخبار بأحوالٍ وأهوالٍ تقع يوم القيامة: ١٩٤

المطلب الثالث: دلالة الآيات الكونية على امتنان الله على عباده..... ١٩٧

المطلب الرابع: دلالة الآيات الكونية على التهديد والوعيد..... ٢٠١

المبحث الثاني: الدلالات الأخلاقية والتشريعية وغيرها في الآيات الكونية..... ٢٠٣

المطلب الأول: دلالة الآيات الكونية على الجانب الأخلاقي: العدل نموذجًا ٢٠٤

المطلب الثاني: دلالة الآيات الكونية على بعض التشريعات الفقهية ٢٠٩

المطلب الثالث: دلالة الآيات الكونية على موضوعات السور..... ٢١٢

١- دلالة الليل والنهار على موضوع سورة الليل:..... ٢١٢

٢- دلالة الضحى على موضوع سورة الضحى: ٢١٣

المبحث الثالث: دلالة الآيات الكونية على عظمة القرآن..... ٢١٥

المطلب الأول: دلالة سقوط النجم على كون القرآن منزلًا من عند الله ﷻ ٢١٧

المطلب الثاني: دلالة مواقع النجوم على شرف القرآن، وعلوه، وطهارته، وكونه منزلًا من عند الله تعالى:..... ٢١٩

المطلب الثالث: دلالة الجبال على قوة تأثير القرآن، وكونه قد بلغ الغاية في

الوعظ والإنذار ٢٢١

المطلب الرابع: دلالة الغيث على مدى قوة تأثير القرآن في القلوب وقدرته على إحيائها وإصلاحها ٢٢٣

الخاتمة ٢٢٩

ثبت المصادر والمراجع ٢٣٢

رومنة المصادر والمراجع ٢٣٦

فهرس الموضوعات ٢٤١

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (13) Year 7/ Muharam1444 AH, corresponding to August 2022

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:

- **Contemplation Areas of The Holy Quran According to Sheikh Al-Saadi –May Allah rest his soul- Through His Book «Tayseer Al-Karim Al-Rahman in the Interpretation of the Words of Al-Mannan» Applied Analytical Study**
  Dr. Bahaa Al-Deen Adel Arafat Dandis
- **(The connotations of the Quranic cosmic verses through Ibn Ashour›s interpretation of Liberation and Enlightenment: Surat al-Mofassal as a model)**
  Mr. SALAMA ABDENNASSER
- **The method of agitation and inflammation in the Holy Qur'an**
  Dr. Abdul Rahman bin Sanad bin Rashid Al-Ruhaili
- **Man from creation to resurrection; Reflections on Surat Al-Insan**
  Mr. Ahmed Mohamed elshwemy
- **Mullah in the Holy Quran Objective study**
  Mr. AGUERT MOHAMMED
- **The Prophet›s Companions› Citation of Quranic Verses from Surat Al-Fatiha to the end of Surat Al-An›am .. Collection and Study**
  Dr. Sulayman Muhammad Camara
- **Report about Imam Al-Shatibit Institute for the Holy Quran and Its Sciences**

25 SR
1658-7642